

## ٢٨ - مؤلفات فيكتور هوغو

طبعت مؤلفات فيكتور هوغو مراراً عديدة في قطع متفاوت في الصغر والكبر . ومنها ماهو مزين بالتصاوير والرسوم البديعة ومنها ماهو على أجمل ورق تمكنت المعامل الأوروبية من طبخه وصقله . وآخر طبعة طبعت للجمهور في أجزاء صغيرة الحجم ( قطع ٣٢ ) يقرب عددها من ثلاثمائة جزء ثمن الجزء ٢٥ سنتياً . وأواسط هذه الطبعات ما كان بالقطع الثمن في ٤٨ مجلداً ثمن المجلد عشرة فرنكات يضاف إليها اثنا عشر مجلداً طبعت بعد وفاة المؤلف فيبلغ بذلك عدد المؤلفات ستين مجلداً .

منها ١٦ مجلداً في الشهر وهي

(١) المدائح والمطربات

(١) الشرقيات . اوراق الخريف

(١) أغاني الشفق . الاصوات الداخلية . الاشعة والظلال

(١) القصاص (٢) التأملات أي سناخت الفكر

(٤) سير الدهور

(١) أغاني الشوارع والاحراج (١) السنة المهواة

(١) صناعة كون الانسان جدياً

(١) البابا . الرحمة العالية . الاديان والدين . الحجار

(١) رياح العقل الاربع

ومنها خمسة مجلدات في الروايات التمثيلية المنظومة وتسمى « درام » وهي :

(١) كرومويل

(١) ايرناني . ماريون دولورم . الملك تيسلي

(١) لوكريس بوجيا . انجلو . ماري تيدور

(١) روى بلاس . اسميرالده . بورغراف

(١) توركاده . امي روبر

ومنها اربعة عشر مجلداً في القصص وتسمى « رومان » وهي :

- (١) هان الاسلاندي
- (١) بوغ جارغال . آخريوم من أيام المحكوم عليه أو قلودكو
- (٢) نوتردام دوباري أو كنيسة باريس الجامعة
- (٥) البؤساء

- (٢) المشتغون في البحر وفي مقدمته ارخبيل بحر المانش
- (٣) الانسان الضاحك
- (١) ثلاث وتسعون

ومنها ثلاثة مجلدات في التاريخ وهي :

- (١) نابوليون الصغير
- (٢) تاريخ جرم

ومنها مجلدان في السياحة عنوانها ( نهر الين )

ومنها مجلدان في الفلسفة أحدهما أدب وفلسفة والآخر ولیم شكسبير  
ومنها ستة مجلدات في الاقوال والاعمال وهي :

- (١) قبل النفي
- (١) مدة النفي
- (٢) بعد النفي
- (٢) فيكتور هوغو تاريخه

هذا ما سامه الشاعر بعد التتميح والتهديب للطبع فنشر في حياته . وله مؤلفات  
أخرى جمعت من التساويد التي سودها والاوراق التي تركها وطبعت بعد وفاته  
بغير تصحيح في اثني عشر مجلداً وهي :

- (١) الاشياء المرئية . (١) الله . (١) عاقبة الشيطان . (٣) كل العود
- (١) الموسع الحر . (١) التوائم . (١) مراسلات الخطيبية
- (١) السياحة في فرانس والبلجيك . (١) السياحة في جبل الالب وفي جبل البيرينه

## (١) السنون المشوَّمة

فما ينشر بعد موت المؤلف يسمى (Posthumes) ويجوز فيه التفتيح والتهذيب عند إعادة طبعه . ولذي ينشر في حياة المؤلف يسمى (ne Varietur) أي الذي لا يتغير ولا يجوز التبديل فيه بعد وفاة صاحبه ولا تحريف الكلم عن مواضعها . ولو وجد من يتحرى في أوراق فيكتور هوغو لربما تمكن من استخراج مجلد أو مجلدين أيضاً . كما جمعت أخيراً المكنائيب التي حررها العلامة رينان لأمه وهو في المدرسة حديث السن وطبعت في مجلد . ولعل القارىء يستكثر عدد هذه المؤلفات التي لا يجد الانسان وقتاً لمذاعتها فضلاً عن تحريرها وسبب انشائها سيما ما يحتاج منها لدقة وتلطف كقرض الشعر ونظم الروايات التمثيلية ولكن اذا تأمل في همة رجال العلم والأدب واقدامهم زال استغرابه وعلم ان ملكتهم رسخت في النظم والانشاء حتى صار التحرير طبيعة ثانية لهم كالكلام . وانا نشاهد المبعوثين في مجلس نواب الامة يتكلم الواحد منهم الساعات الطوال بدون أن يتلثم . ويضبط كلامه بالاصول المعروفة بالاستموغرافيا وينشر في جرائد المساء فيما لا اعمدة الكثيرة والصحائف الكبيرة . وقد بلغنا عن مبعوث في بلاد المجر انه تكلم في موضوع اثنتي عشرة ساعة بحيث انه بدأ في الصباح وبعد استراحة الظهر عاد لموضوعه واكمل بحثه في اليوم الثاني . فتألف من كلامه مجلد ضخم . ولو قرأنا فهرست الكتب التي ألفها الكندي والرازي وأصحاب المعاجم والتأليف الضخمة لوجدناها تقارب هذا المقدار أو تزيد عليه . ورأينا فيما تقدم ما ألفه العرب في أفانين الأدب من المؤلفات الكبيرة ككتاب الايلك والقصون المعري ونحوه . على ان فيكتور هوغو معينين في أعماله . فتاريخ فيكتور هوغو في مجلدين حررته زوجته الشرعية الشاهدة على حياته . وكانت الممثلة البارعة جوليت دروه تنسخ له وهو يملي عليها . وربما كتب له أيضاً الشاعر اوغوست فاكيري . وحرر ابنه فرانسوا من جزيرة كيرنزي لاحد أصحابه في فرانسوا يقول « نحن كلنا نشغل . والدي يتمم نظم الحساسات الصغيرة . وشارل يصنف روماناً وأنا اتحف فرانسوا بشكسبير واجتهد بان اكون ترجماناً صادقاً لهذه القرينة

« الواسعة . »

وفي الحقيقة ان فرانسوا هوكو ترجم مؤلفات شكسبير أحسن ترجمة فطيمت في ثمانية عشر مجلداً بعد ان عرضها على أبيه واستكتبه عليها المقدمات والحواشي . فجميع المؤلفات كانت تعرض على فيكتور هوكو وبعضها يطبع باسمه لانه كان رأس هذه العصبة ومدير هذه الجمعية المؤلفة من زوجته وصاحبه وأولاده وأصحابه . ولم يزل صغار الكتبة والشعراء في أوربا ينسبون مؤلفاتهم وأشعارهم الى مشاهير الرجال ترويحاً لها وانفاقاً لبعضهم في سوق العلم والادب . فان المؤرخ الشهير الفرنسي ميشله المستند في مؤلفاته على القصص التاريخية التي ألفها والترسوت الانكليزي نسب لنفسه في التاريخ الطبيعي الكتب الأربعة التي عنوانها الطير ، الحشرة ، البحر ، الجبل مع أن المحرر الحقيقي والمصنف لهذه الكتب النفيسة على ما يقال هي زوجته المدام ميشله وكانت من الفاضلات . ووجد المحققون في تاريخ الكيمياء أن بعض كتبها القديمة حررها أصحابها في القرون الوسطى وعزوها الى جابر وهرمس تقوية لسندها واقناعاً بصحتها . فالتحال الشعر أو الكتاب المصنف شائع بين الكتاب والشعراء وتارة يكون برضاء المؤلف الحقيقي وتارة يكون بغير رضائه وهو السرقة . وقد يكون السارق المنتحل أشعر وأقدر من صاحب الشعر والتصنيف ولكن وقته لم يسمح له بالاتيان بمثل ذلك المؤلف . ولذا اتهمت الاكاديمية فيكتور هوكو بسرقة القصيدة التي عرضها على لجنة التحكيم والمسابقة وسمها ( فوائد المطالعة ) ولم يعطوه الجائزة التي استحقها

وكان يحدث امثال ذلك في أيام العرب وفي حضارة الاسلام كما اتهم الحريري في مقاماته . وكان قد عمل مقامة واحدة على مقامات البديع الهمداني وعرضها على انوشروان بن خالد بن محمد وزير السلطان محمود السلجوقي وكان الحريري خصيصاً به فأمره الوزير بانشاء المقامات واتمامها فصنف أربعين مقامة وأتى بها من البصرة محل تحصيله العلم الى بغداد ونزل في الحرير وهي سررة العاصمة والمحلة المشتملة على دار الخلافة وقصور الامراء والاعيان وكان ذلك في خلافة المقتدي بالله سابع

وعشرين الخلفاء العباسيين . فاستحسن الادباء طرز المقامات وحسدوه عليها واتهموه  
بمسرقتها . ونا امتحن سد عليه ولم تجد قريحته بشيء وهو في الحرير وسط تلك العاصمة  
الكثيرة الزحام والجلبة فنفي الى المشان قرية بقرب البصرة مشتملة على نخل وزرع ولكن  
هواءها فاسد بسبب المستنقعات وكان اذا غضب على شخص نفي اليها . فآلف  
الحريري في المشان عشر مقامات اخرى وكلمات مصنفاته خمسين مقامة فقال فيه ابن  
جكينا يهجو

شيخ لنا من ربيعة الفرس      يذنف عشونته من الهوس  
انطقه الله بالمشان وقد      الجمه في الحرير بالخرس

وكان الحريري ينتسب الى ربيعة الفرس وهي قبيلة من قبائل العرب على  
حدود فارس . وكان اولم يذنف لحيته والعبث بها . ووعدده أحد الامراء يوماً بولاية  
على شرط أن يترك نذف لحيته فامثل برهة ولم يستطع الصبر فقال « أحب الي أن  
تعاد لي الولاية على لحيتي من كل ولاية » . ونشأ الحريري في مجمع العلماء والادباء  
واليهم نسبت الاقوال الكثيرة في النحر فقبل مذهب البصرين ومذهب الكوفيين  
وكانت ولادته في البصرة وقيل لابل ولد بالمشان المجاورة لها ( ٤٤٦ - ٥١٥ هـ )  
وكانت الساطة والنفوذ في ذلك العصر للدولة السلجوقية التي ظهرت في العراق العجمي  
واتخذت مدينة الري عاصمة لها ويقال المنسوب لها الرازي وقد صار علماً على كثير  
من العلماء والفلاسفة ولم تنزل خرابات الري مشاهدة بظاهر طهران عاصمة الدولة  
الابراية ويقال لها عبد العظيم نسبة لاحد الاولياء المدفون فيها وهناك كان مقتل  
الشاه السابق . وسميت ملوك هذه الدولة السلجوقية بسلاجقة ايران تمييزاً لهم عن  
سلاجقة الروم الذين اتخذوا قونية عاصمة لهم وعن سلاجقة كرمان الذين حكموا  
في الجنوب الشرقي من بلاد العجم . وظهر في سلاجقة ايران ملكاً في ظرف ١٦١  
سنة واعظمهم ثامنهم ملكشاه ( ٤٤٧ - ٤٤٥ - ٥ ) ابن الب أوسلان ويسمى  
ابالفتح جلال الدين واليه ينسب التاريخ الجلالى الذي وضعه عمر الخيام الاديب الفلكي  
الشهير وكان وزيره نظام الملك صاحب المدرسة النظامية في بغداد . فيفهم من

ذلك ان «لوك هذه السلالة ووزراءها وامراءها كلهم حريصون على تعزيز جانب العلم والادب ولا غرو ان أتى الادباء في زمانهم بمثل المقامات الحريرية . وأنف كال بك امام الادب في اللسان المثاني رواية بايضة سماها « جلال » وجعل لها مقدمة يدها الادباء من أبلغ ماحرر في اللسان العثماني على الاسلوب الجديد

فيمتضج مما سبق ان مؤلفات فيكتور هوغو على نوعين منظوم ومثور . وكل واحد منهما يشتمل على فنون ومذاهب في الكلام . فالمنظوم منه ماهو شعر ويشتمل على فنون كثيرة مثل الاود والبلاد والايليبي . . . . الخ وكل منها عروض مخصوص . ومنه ماهو روايات تمثيلية تملئ على المراسح كما يتلى النثر المرسل بغير النفات الى أوزان النظم ولا قوافيه أي بلا ترنم ولا تطريب ولا تغريد . ولا ترخيم في الصوت ولا وقوف على القافية . ونظمت هذه الروايات التمثيلية التي يقال لها درام على عروض البحر الاسكندري في الغالب وهو المبني على اثني عشر هجاء .

فاذا جرى التوقيع بالروايات الدراماتيقية على آلات الطرب ولحن فيها على طريقة الصنعة الموسيقية سميت « اوبرة » ولاجلها بنيت المراسح الكبيرة التي يقال لها اوبرة كالأوبرة الحديوية في القاهرة والمسرح الذي بني في الاسمانه ثم احترق ولم يحدد بناءه . ويقال لاوبرة باريس أكاديمية الموسيقى لانها شعبة من شعب أكاديمية الصنائع النفيسة التي هي في عداد الاكاديميات الخمس الشهيرة في باريس . ومثال ذلك اوبرة فوست التي صنفت قصتها الدراماتيقية الاديب الالماني كوته ثم جاء الملحن الفرنسي كونو ووفق ترجمة كلامها على صنعة الالحان . وكذا رواية عائدة (آيده) التي وضعها على صنعة الالحان الملحن الشهير الطلياني فردي ثم نظمها بالفرنساوية أدريان من ادباء فرنساوين . وأول ما مثلت هذه الرواية الاخيرة في الاوبرة الحديوية بالقاهرة سنة ١٨٧١ ثم مثلت في باريس على المسرح الطلياني سنة ١٨٧٦ وتمثل اليوم على جميع المراسح الفرنسية في الماصمة والايالات وفي اكثر المدن الاوروبية ولعل هذه الرواية هي التي ترجمت للعربية باسم (عائدة) .

فالاوبرة هي تأليف دراماتيقي اجتمع فيه الشعر والموسيقى . ولذا فهي تشتمل

على أوزان العروض وأنغام الزامير وأقاويل الشعر أي ما فيه من التشبيه والتخييل فإن دخل في الأوبرة مع الكلام المنظوم كلام منشور أيضاً سميت أوبرة - كوميك كرواية كرمين . وإن لم يكن موضوع الرواية دراما أي فاجعة بل كان كوميديا مضحكة سميت ( بوف ) و ( بوفون ) و ( أويريت ) تصغير أوبرة . واجتهد بعض الادباء الترك في التأليف بين الشعر والموسيقى في اللسان العثماني فترجموا رواية كرمين نظماً للتركية وشخصوها مع الانغام الموسيقية على المراسح المتخذة من الاخشاب في محلة اقسراي وفي منزهات ضواحي الاستانة . ومع أن مشروعهم ابتدائي فالتثيل كان لا بأس به رغماً عن حداثة نشأته . فلو حصلت عناية في تنشيط هذا المشروع بقوة المال وهمة الرجال لنجح ولا شك باللغة التركية وباللغة العربية أيضاً . فإن دوائر البلدية في مدن أوروبا الثانوية فضلاً عن العواصم تنفق النفقات الباهظة في كل سنة لاعانة المراسح . لان ما يجمع من اجرة الدخولية لا يكفي لتحسين المراسح الى الدرجة التي بلغتها مراسح أوروبا . وكان علماء العرب وفلافيستهم المتقدمين اهتمامهم بالموسيقى والفارابي فيه اليد الطولى ومما ألفه كتاب الموسيقى الكبير . ونقل صاحب الارز في ما نشره من الازجال والموشحات عبارة عن ابن رشد وردت له في تلخيصه كتاب أرسطوطاليس في الشعر الذي طبعه المستشرق فوستو لازينو في مدينة فلورانس سنة ١٨٧٣ قال ابن رشد :

« المحاكاة في الاقاويل الشعرية تكون من قبل ثلاثة أشياء . من قبل النغم المتفقة ومن قبل الوزن ومن قبل التشبيه نفسه . وهذه قد يوجد كل واحد منها مفرداً عند صاحبه مثل وجود النغم في المزامير والوزن في الرقص والمحاكاة في اللفظ . أعني الاقاويل المخيلة الغير الموزونة . وقد تجتمع هذه الثلاثة بأسرها مثل ما يوجد عندنا في النوع الذي يسمى الموشحات والازجال وهي الاشعار التي استنبطها سيفي هذا اللسان أهل هذه الجزيرة أي الاندلس » . اهـ . ولا شبهة في أن أعاريض الموشحات والازجال من أنسب العروض لنظم روايات الأوبرة لسهولة التوقيع بها على آلات الطرب بخلاف البحور الستة عشر في العربية أو البحور الثمانية عشر بالفارسية والتركية .

ولا تطيل الكلام في هذا البحث فان أهله أولى بالبحث فيه والتفتيش عن دقائقه  
وخوافيه ونعود للصاد الذي كنا فيه

وأما النثر الذي ألفه فيكتور هوكو فكأنه من قبيل المرسل وهو الذي يطلق فيه  
الكلام اطلاقاً ولا يقطع أجزاء بل يرسل ارسالاً من غير تقييد بقافية ولا غيرها .  
وليس عند الافرنج سجع . وهذا المنثور على أقسام وفنون شتى منها القصص التي  
يقال لها « رومان » وهي ما صور فيها مؤلفها غرائب الواقعات وعجائب الاتفاقات  
واسنلفت نظر القارىء أو السامع بمفترياته واختلاقاته وتخيالاته البديعة . وسميت هذه  
القصص رومان او رومانس باسم اللغة القديمة التي كتب فيها رومان رولان وأمثالها  
من القصص والحكايات المنظومة والمنثورة . والرومانات على أقسام كثيرة منها  
الرومان التاريخي والغرامي أو الاحساسى والروحاني والفني والسياسي الخ ومن منشور  
فيكتور هوكو أيضاً التاريخ والسياحة والفلسفة والاقوال والاعمال والرسائل والخطب  
والسياسيات وغير ذلك .

### ٢٩ — نظم فيكتور هوكو

قرض فيكتور هوكو الشعر في أعاريض مختلفة . منه ما هو على وزن البحر  
الاسكندري المنسوب لاحد الشعراء اليونانيين أو المدينة الاسكندرية التي زهت  
فيها العلوم والمعارف والآداب اليونانية على عهد البطالسة . ويتألف عروض البحر  
الاسكندري من اثني عشر هجاء اذا كانت القافية مذكرة ومن ثلاثة عشر اذا كانت  
مؤنثة . ويقسم كل بيت الى شطرين بوقفة Césure تأتي بعد الهجاء السادس  
المساواة الشطرين . والنظم في هذا البحر صعب يحتاج الى نفس عال وتلطف كثير  
ومهارة زائدة وبه تظهر قوة الشاعر واقتداره على التصرف في الكلام ولذا اختص  
بالمواضيع الجدلية العالية لقصائد الحماسة وروايات الفاجمة . واختاره فيكتور هوكو  
لنظم روايات الدرام التمثيلية المذكورة في الكتب الخمسة المنقدم بيانها ولنظم غيرها  
من الاشعار الحماسية والتاريخية . ولكنه غير فيه كثيراً ولم يراع الوقوف على الهجاء

السادس بل قسم البيت الى شطرين غير متساويين وجوز تكبيل معنى البيت الاول بالماظ من البيت الثاني مع أن الرب يشترطون ان يكون كل بيت من ابيات الشعر تاماً في باه مستقلأ في معناه . ويمكن تشبيه البحر الاسكندري بالبحر العربية السنة عشر او البحور الفارسية اثمانية عشر

ومن شعر فيكتور هوكو ما هو على أوزان متخللة ثأف من ستة او ثمانية او عشرة هجآت نظمت أسماظاً أسماظاً وأغصاناً اغصاناً وجمل لها ادواراً ولازجات نلى نسق ما استحدثه الاندلسيون وبقية شعراء العرب المتأخرين من الموشحات والازجال . وهي اسهل طريقة واقرب ثأولأ من البحر الاسكندري كما ان الموشحات والازجال العربية اسهل من بقية البحور . ولما عند الافرنج اسماء بحسب أجناسها مثل اود وبالاد ورونديو واياجي الخ . ولها ادوار تسمى قوبله وستريف ولها أيضاً لازمات refrain الخ . واقتبس الفرنسيون هذه الاعار ايضا من شعراء اترو بادور تلقوها عن عرب الاندلس كما أخذوا عنهم علم القوافي . فان شعراء الافرنج على الاطلاق لم يكن لهم معرفة بالقوافي وانما كانوا يمتاضون عنها في أشعارهم بما يسمونه ( اسونانس ) وهو شبه القراذي والمعاني كما مر ذكره . وثلثنا فيما سبق للقافية بكلمتي ( سآج ) و ( بآج ) وما يسمونه اسونانس بكلمتي ( سآج ) و ( آرم ) والافرنج لا يلتزمون في القصيدة او المنظومة قافية واحدة أو رويأ واحداً كما يفعل العرب . ففيكتور هوكو لم يلتفت كثيراً للاوزان العروض التي نظم فيه من تقدم عليه من الشعراء بل تساهل جداً في جانب الالفاظ واستحدث من عند نفسه أنواعاً جديدة ورضع هذه القاعدة وهي « ان الشعر ليس في قوالب المعاني وانما هو في المعاني نفسها . فالشعر هو الامر الباطني لكل شيء في الوجود »

فهذه القاعدة ليست مجهولة باتمام عند أدباء العرب . وامل ابن رشد اشار اليها في العبارة السابقة بقوله عن المحاكاة في اللفظ « اعني الاقاويل الخجلة الغير الموزونة » . وحكي عن حسان بن ثابت حينما اتاه ابنه عبد الرحمن وهو صبي بكبي ويقول  
اسعني طائر

فقال حسان - صنه يا بني

فقال - كانه . متف في بردى حبره وكان اسمه زنبور

فقال حسان - قال ابني الشعر ورب الكعبة

فمقصود السبي ان الطائر الذي اسمه يشبه في اجنحته وشكله المنقش العجيب الشخص الملائك بنى موسى ومصعب . وقول حسان حجة على أن الشعر لا ينحصر في الكلام المتقفي الوزن وانما حقيقة الشعر في المعاني والتخييل وفيما يحدته على النفس من التأثير . ولكن درج تعريف الشعر على الاسنة بانه كلام مقفي موزون . وسبق لنا ذكر تعريف ابن خلدون للشعر بانه « الكلام البليغ ، المبني على الاستمارة او الاوصاف ، المنصل اجزاء متممة في الوزن والروي ، مسنن كل جزء منها في غرضه ومقصده عما قبله وبعده ، الجاري على أساليب العرب المخصوصة » . وعلى هذا التعريف يكون كلام المنذبي والمعري ليس من الشعر شي . وقال ابو الفداء عن المعري « وطبق الارض ذكره . . . واكثر مضافته ركيكة فهجرت لذلك » . والصحيح ان كلاماً منها امام مجد في الادب خرجا بالكلام عن تلك القبود المدرسية راطلقا للقرحة عنان الحرية وكان النوع المعروف بين الادباء هو نوع القصيد وله أساليب معروفة عندهم تختص بمطامع القصيدة وبيت التخاص والحنام وذكر الاطلاق والرسوم والراحلة والسفر . فالمعري والمنذبي خرجا عن هذه الأساليب ولكنها افراطا في ايراد التشبيه الغامضة والالفاظ اللغوية واحتاج شعرها الى شرح طويل وتفسير ثم صار هو أيضاً شعراً مدرسياً بسبب نسج المتأخرين على منواله وتهافتهم على التشابه الغامضة . وقال فيكتور هوكر في كتابه المسمى أدب وفلسفة :

« لا يكفي ان يكون للشعر قاب حسن الالفاظ بل يلزم ان يحتوي على معنى او تشبيه او احساس . ليكون له رائحة ولون وطعم . تسعى التحلة في بناء الواجهات الست لبيوتها من الشمع . ثم تملأها بالعمل . فهذه البيوت او الخلايا هي ابيات الشعر . والعمل هو الشعر . » اه

فشبه الشعر بالشهد وهو العمل في شمه . او بالخمير أيضاً ولها اوصاف ثلاثة :

رائحة تفوح منها كما يفوح المسك . وتسمى باصطلاحهم ( بركة ) . ولون كانه  
ياقوتة سيالة او صفراء فاقع لونها . وطعم يعرفه أهل الذوق كما تعرف طعم آكل  
ويعيزون فيه بين الحسن والاحسن والضر والنافع والنافع . ورأيت في أهل الذوق  
من رسخت لهم ملكة حتى أصبحوا يعرفون الخمر من أي كرم وقرية ومن محصول  
أي سنة بمجرد معاينة اوصافها الثلاثة بالحواس اثلاث حاسة البصر وحاسة الشم  
وحاسة الذوق . وتشبه الشعر بالخمر والمسل معروف عند العرب ويقولون فلان  
من أهل الذوق في الكلام وثنول العامة ( كلام بلا طعم ) ومما يؤيد ان الشعر في  
المعاني قول أبي محمد الخازن من ادباء اصفهان وكان ينسب للمصاحب بن عباد  
ويرسل ابا بكر الخوارزمي قال :

لا يحسن الشعر ما لم يترق له      حر الكلام وتستخدم له الفكر  
انظر تجر صورة الاشعار واحدة      وانما المعاني تشق العصور

ثم ان تقسيم الشعر عند الافرنج الى اود وبالاد واليحي . الخ هو تقسيم  
باعتبار الشكل الخارجي أي باعتبار قوالب الالفاظ وبجور السروض والادوار . . .  
الخ . . . واما باعتبار المعنى فيقسم الى ثلاثة اقسام غرامي وحماصي ودرامي . فالغرامي  
— ويسمى الموسيقي أيضاً لان الاصل فيه الانشاد على نفحات الاوتار — هو كل  
شعر أعرب عن الحواس الشخصية . فهو انه بين فيه احساسه وعواطفه وجهه وبغضه  
وشقاؤه وسعادته . فاذا جرى التوقيع به على آلات الطرب كان أشد وقماً وتأثيراً  
على النفوس . والشعر الحماسي هو ما وصف به شجاعة الشجبان وذمهم عن الحرم  
والاوطان وفيه احاديث الشهامة والفيرة والحمة فهو يهد الصنة تاريخي . والدرام  
هو ما صور فيه الحياة الانسانية وتقدم تفصيل الكلام عليه

فالاود والبلاد والايحي . . . الخ يقابلها في العربية المدح والغزل والرثية . . .  
الخ غير ان هذه الاقسام في العربية من الاقسام المعنوية واما عند الفرنسيين فهي  
من الاقسام اللفظية التي لكل منها عروض مخصوص وشكل معروف . ومن هذه  
الاقسام اللطيفة أيضاً الشعر الفاجع وهو ما صور فيه الشاعر حادثة مهمة من شأنها

تتمتع العواطف وتحرّك الغضب واستجاب الشفقة والرحمة وتنتهي الرواية الفاجحة في الغالب بمسيرة فرديات القديسين التي على هذا الطراز تسمى تراجيدياً وروايات أصحاب الطريقة الرومانية التي على أسلوبها تسمى دراماً . وأما الكوميديا فهي مصورة لأخلاق الهيئة الاجتماعية ومسايرهم وما يهيم بصورة هزلية مضحكة . كروايات مولير ومنها رواية تارتوف وهي مترجمة لتركة ومنشورة في مطبعة أبو الضياء . وأشمار الهجاء عند الأفرنج تشمل على الهجوم والذم والانتقاد والتعريض والاستهزاء وخاط الجدل بالهزل ونحو ذلك . ومن أنواع الشعر عندهم أيضاً الشعر البدوي النصور لأخلاق البدو ولرعاة وهم في البادية والجبال . وتقد أحسن ليلى بن ربيعة العامري في تصوير أخلاق البادية والمعيشة البدوية قبل الإسلام وديوانه مطبوع في فينا عاصمة النمسا . ومن الشعر ما نقص فيه الحكايات وتضرب الامثال على السنة للحيوانات كحكايات لافونتين . ومنه أيضاً الشعر الذي على نهج الرسائل والمكاتيب . وله امثال عند العرب ومن شعراء دمشق المأخزين من نظم حجة شرعية بجميع ما يازها من التمرد والشروط

وجل مهارة فيكتور هوغو في الشعر الغنائي او الموسيقى المرعب عن الاحساس الشخصي . ولشعره نعمة مطربة وقواف عامرة . والحان تمن له القلوب وترتاح لسماعها النفوس . وهو الذي اوجد عند الفرنسيين بين المحبو الموسيقي في المنظومات التي هجاها نابليون الثالث . ولم تنزل هذه الانغام والنوافي والالحان هي الباشئة على رواج اشعاره واقبال الجمهور عليها

وكان فيكتور هوغو غير أفاعيل الشعر وتفاعيله واصلاح عروضه على المثل المشار اليه آنفاً ، اصلح كذلك الفاظ الشعر ومعانيه . وابطل جميع اصطلاحات الادباء أي الاساليب والتعبيرات المصطلح عليها بينهم والتي لا يفهمها الا أهل الغوص على المعاني وهم خواص الناس . وقل بان جميع الالفاظ سواء . لا فرق فيها بين اللفظ الذي وقع اختيار الادباء عليه وبين اللفظ الذي رفضوه وقالوا عنه سوقي مبتذل . وجوز للكتابة والشعراء الاخذ بكل واحد من نوعي الالفاظ المختارة والسوقية واستعمالها

بلا فرق في النظم والنثر (١) على شرط توافقتهما لقواعد النحو والصرف وإبطال أيضاً ما كان يستعمله الأدباء في كلامهم من المندمات والدورات التي من شأنها تغطية المعنى والتمثيل عليه وكذا التعبيرات العمومية والاجمالية التي يتلاشى بها المعنى ويستبهم كما يفعل أدباء العرب في خطبة الكتاب المصنف وفي مقدمته . ولم يرض من جميع ذلك إلا بالتعبير الاصيل والمعنى الحقيقي الدال على خصوصية الموضوع . لان الغرض من تأليف الكلمات وتصنيف الكلام إنما هو تشخيص الموضوع وبيان ميزته وغرابتها . فلا حاجة الاستعارة ولا المعنى المجزي . ويقوم مقام الاستعارة التشبيه أو التخييل الذي هو نوع من الاحساس لا التشبيه والتخييل المستفاد من طرز الكتابة فالواجب على الكاتب ان لا يشغل نفسه بالاستعارات وأنواع البديع وان لا يتصنع ولا يتعمد في الكلام بل ينبغي له ان يهتم ببيان الموضوع الذي هو فيه وايضاحه بوصفه بالاصناف السديدة المظهرة له ظهور الشمس في رابعة النهار ويوضع انفعالاته النفيسة في ذلك الموضوع ليكون أشد تأثيراً على السامع . فتأثير الكلام يكون من جهة الانفعال النفسي والتصوير الطبيعي لا من جهة الاستعارات

غير أن فيكتور هوغو وأهل طريقته لم يمدحوا انفسهم من استعمال الاستعارات المدرسية والتعبيرات المصنعة لسوخ ملكتهم فيها . ومن الاستعارات التي وردت لفيكتور هوغو على الطرز القديم قوله « نجوم المركبة » ويريد المصاييح التي تثار بها المركبات ليلاً وتظهر عن بعد كالتجم

فادباء العرب قالوا بان جل محاسن الكلام ان لم تكن كلها متفرعة عن التشبيه والتمثيل والاستعارة والكناية وجملوها اقطاباً تدور عليها المهاني . ولذا تجد غزلهم مثلاً يدور دائماً حول التفتن في تشبيه القدود بالاعضان والنهود بالرمان والحدود بالورد

(١) ذكر الجرجاني في اسرار البلاغة المطبوع اخيراً في مصر في الكلام على الالفاظ المستحسنة ان تكون اللفظة مما يتعارفه الناس في استعمالهم ، وتبدل اولونه في زمانهم ، ولا يكون وحشياً غريباً ، او عامياً سخيفاً ، سخفه بازائه عن موضوع اللغة ، واخراجه عما فرضته من الحكم والصفة ، كقول العامة ( اشغلت ) و ( انفسد )

والجلنار والعيون بالانرجس ونحو ذلك . على حد قول الشاعر  
 قلمي على قدك المشرق بالهيف طير على الغصن أم همز على الالف  
 وهل سويداءه خال بخرك أم خويدم أسود في الروضة الالف  
 وهي قصيدة غراء من كتاب ريجانة الالباء المطبوع في بولاق . والمراد تشبيه  
 قلمه المشوق بالغصن او بالالف . وقاب العاشق بالطيراو بالهمزة . وفي البيت  
 الثاني تشبيه سويداء القلب وهي الجنة السوداء التي فيه بالخال الذي على خد  
 المحبوب وتشبيه الخال بالخدام الصغير الاسود وهو في الروضة . لان جسد الحبيب  
 في اصطلاحهم بستان فيه جميع الازهار والفواكه والاشجار والانهار واللال والوهاد  
 والاغوار والانجاد . فكان جميع المخلوقات الطبيعية تتشخص في هذا الجسد . فجميع  
 اشعارهم في الغزل وجميع تفنناتهم فيه يدور ويرجع لاصل واحد واحسن مثال له  
 القصيدة الآتية

نقشاً على معصم اوهت به جلدي	نالت على يدها مالم تنله يدي
او روضة رصعتها السحب بالبرد	كأنه طرق نمل في اناملها
فالبيست زندها درعاً من الزرد	خافت على يدها من نبيل مقلتها
تصيد قلبي به من داخل الجسد	مدت مواشطها في كنفها شركاً
ونبل مقلتها ترمي به كبدي	وقوس حاجبها من كل ناحية
وناعس الطرف يقظان على الرصد	وعترب الصدع قد بازت زبانه
فالصدر يطرح رماناً لمن يرد	ان كان في جلنار الخد من عجب
مرجرج قدحكي الاحزان في الخلد	وخصرها ناحل مثنى على كفل
من بعد رؤيتها يوماً على أحد	انسية لورأتها الشمس ماطلت
من رام مناوصالاً مات بالكد	سألتها الوصل قالت انت تعرفنا
من الغرام ولم بيدي ولم يعد	وكلنا عاشق في الحب مات جوى
ان المحب قنيل الصبر والجلد	فتمت استغفر الرحمن من زال
ما تنظرون فمال الظبي بالاسد	وخلفتني طريحاً وهي قائلة

قالت لطيف خيال زارني ومضى  
 فقال خلفته لومات من ظاء  
 قالت صدقت الوفا في الحب شيمته  
 واسترجمت سألت عني فقبل لها  
 وامطرت لؤلؤاً من نرجس وسقت  
 وانشدت بلسان الحال قائلة  
 والله ما حزنت اخت لفقده اخ  
 فاسرعت واتت تجري على عجل  
 واغمرتني بفضل من عواطفها  
 هم يحسدوني على موتي فوا اسفي

فهذه القصيدة اشتملت على كثير من التشابيه وعلى شيء قليل من المعاني وعلى  
 شيء اقل من الاحساس . فشبه النقش الذي تنقشه الماشطة على يد العروس بطرق  
 النمل وهم ذاهبون لمساكنهم قطاراً بجانب قطار . وبالبرد النازل على روضة البقل  
 وبردع الزرد . وبشرك الصيد اي شبكته . وشبه الحاجب بالقوس والاهداب  
 بالنبل والكبد بالهدف . وشبه الشعر الاسود على الصدغ بالعقرب وطرفه الملوي  
 بالزبانة . وزبانها العقرب قرناها . وشبه الحد بالجلنار وهو زهر الرمان وبالورد  
 ايضاً والثدى بالرمان . وشبه نفسه بالاسد وشبهها هي بالشمس والظبي وشبه دموعها  
 باللؤلؤ وعينها بالنرجس واناملها المصبوغة بالحناء الاحمر بالعناب واسنانها بالبرد .

وردفها بالحزن وهو ما غلظ وارتفع من الارض ويسمى الراية والكثيب ايضاً  
 وأما المعاني التي في هذه القصيدة فهي سؤاله الوصل وجوابها بالرد وصبره  
 وجلده على البعد ووفاه في الحب حتى لم يبق فيه رفق . فشفتت عليه وبكت  
 وحزنت حزن الاخت لفقده اخيها والام على ولدها واتت اليه تجري على عجل  
 وتمطفت عليه وانعشته فحسده العوازل

فادباء العرب يستمدون هذا الكلام المصنع المرصع كما يستحسنون النقش على

اليد والصمغ الاحمر على البنان . والفرق بين اليد البيضاء الطبيعية والانامل المنظفة بالبرد والمقص وبقية الآت التنظيف وبين اليد المنقوش عليها نقشاً وحشياً والانامل المخضبة بالحناء لا يخفى على اهل النظر ولذوق ولا ممتوحة لا يستحلون العرائس الا اذا كثر على اجسادهن النقش والوشم وشرحت خدودهن وكسرت اسنانهن ليحصل فيها الفخج وثقبت انوفهن وشفاهن واذنهن ليملق فيها الاقراط والمالقات فهم يبدلون خلة الله بما يرونه حسناً بحسب اذواقهم . وكذلك الادباء يعدلون بالكلام عن السوق الطبيعي الى تلك التشايب والاستمارات واذا نظرت الى مدحهم رأيتهم ايضاً يدور حول طول النجاد وكثرة الرماد كقوله

طويل النجاد رفيع العماد كثير الرماد اذا ما شئ

فهذا البيت يليق مدحاً جنيحاً بشيخ قبيلة بدوية او تلك امة متوحشة من اعم اواسط افريقيا لا في كل ممدوح . واذا مدح امة لها حظ من الحضارة ينقلب المدح ذمماً . وهكذا يقل في بقية فنون الكلام وضروبه مثل الهجاء والثناء والاستماعة ، والشفاعة ، والشكر ، والاستمطاف ، والافتخار ، وبحث الشكوى ، والمواظ ، والحجج لاسيما الوصف وهو اعلمها واكثرها ضرراً فان كل فن من هذه الفنون يدور حول تشايب معلومة واساليب مدرسية يندر فيها الاحساس الشخصي والانفعال النفس وانما هي تقاليد يتبع فيها الخائف الدلف

نفيككتور هوكو وأهل طريقة لا يرون شيئاً من الحسن في هذه التشايب والاستمارات المدرسية ولا يستمدون معنى من تلك المعاني التي ليست بطبيعية . بل يجدونها من المعاني السخيفة الغير المعقولة . خرج بها اصحابها عن الذوق السليم وعن دائرة الطبيعة . وشوهوا وجه الكلام بتلك الاستمارات كما سخفوا وجه العروس وبدنها بالنقش والوشم والصمغ ثم جاؤا يقولون ( نالت على يدها ما لم تنله يدي ) . ورأينا في معرض بارنوم الذي يطوف به صاحبه مدن العالم القديم والجديد شخصاً من المتوحشين وشم جميع بدنه فكان يتجلى امام الناظرين كأنه لا يس ثوباً ، بقرشاً . والوشم هو ان يفرز الجسد بآبرة ثم يذر عليها التور وهو النيلج ( نبات النيلة ) . وفي الحديث لعن الله الواشمة والمستوشمة .

## ١ - المدائح والمطربات

هو أول ديوان نشره فيكتور هوغو في الشعر وافتتحه بمقدمات نظرية بليغة ترجمنا احداها لمناسبتها المقام ومنها يعلم ان تعبيرنا عن الأود والبالاد بالمدائح والمطربات فيه ناسهل لان قصائد هذا الديوان لا تقتصر على المدح والغزل بل فيها أيضاً الرثاء والهجاء ممزوجة بعضها ببعض  
قال فيكتور هوغو :

هذا ديوان في الشعر الموسيقي ( الغرامي ) . فيه نوعان من أفانين الشعر أحدهما ( اود ) ويدخل تحته جميع المنظومات المشتملة على الهامات دينية أو مطالعات قديمة أو المترجمة عن واقعة عصرية أو عن تأثر شخصي . والثاني ( بالاد ) وهو نوع مخالف للفرع المتقدم . ومنظوماته انما هي مسودات فن هوأبي . وهي عبارة عن ألواح مصورة وخیالات وأحلام ومناظر بديمة وحكايات دارجة وأحاديث خرافية وأساطير ووسوسة . والقصد من نظمها اعطاء فكر عن ماهية الاشعار والقصائد التي نظمها في القرون الوسطى شعراء التروبادور المتقدمون الذين هم رواة الشعر في عالم النصرانية . وكانوا لا يملكون من الدنيا الا السيف والرباب ويطوفون على الامراء في قلاعهم وقصورهم ويتضيفون على موادهم وينشدونهم الاشعار استجداءً لاحسانهم . ولولم يكن في التعبير فخفة لقال المؤلف بأنه وضع روحه في الاود وتخيله في البالاد . على انه لا يعبأ بتقسيم الشعر الى أنواع وأفانين ولا بتصنيفه أصنافاً متباينة . لان حقيقة الشعر واحدة مهما اختلفت عروضه وأدواره . ولذا فهو لا يبالي باعتراض من يزعم ان ما ورد في هذا الكتاب ليس هو في شيء من الاود ولا من البالاد . كما قيل عن شعر المتنبي والمعري . لانهما لم ينسجا على منوال شعر الجاهلية ولا حافظا على الاساليب القديمة . فدعهم يقولون ما يشاؤون ويسمونها بما يشتهون من الاسماء فان العبرة للمسنى لا للاسم . ونسبهم يتشددون كل يوم بصلاحية الفن الفلاني من فنون الشعر . وأوفقية الفن الآخر . ويقولون بمحدودية هذا وبوسعة ذلك . ويمنعون في فن التراجيديا ما يميزونه في فن الرومان .

ويسمّون في نوع الغناء بما يحفظونه في نوع الاود . . . الخ . فمن سوء حظ هذا  
 أنه لا يفهم شيئاً مما يقولونه ويفتش في كلامهم عن المعاني ولا يرى فيه الا النشوق  
 بالالفاظ فالذي يظهر له ان ماهو في الحقيقة ونفس الامر جميل صحيح يكون جميلاً  
 وصحيحاً في كل مكان . وما كان دراماتيقياً أي فاجعاً في قصة من القصص يكون  
 دراماتيقياً أيضاً في رواية ممثلة على المسرح . وما كان موسيقياً أي غرامياً في دور  
 ( قوبله ) من أدوار الشعر يكون موسيقياً أيضاً في سمط ( ستروف ) من أسماط  
 الشعر المنظوم أسماطاً أسماطاً وأغصاناً أغصاناً . والحاصل التمييز الوحيد الحقيقي في  
 محصولات الفكر انما هو التمييز بين الحسن والقبيح . والفكر أرض مخصصة لم تقبل  
 تبغي محصولاتها النماء فيها بحرية . أعني حسب التصادف بدون أن تصنف صنفاً  
 صنفاً أو تجعل صفاً صفاً في أحواض مصنعة كما جعلت الأزهار في البستان الصناعي .

أو كما جمعت نوابغ الكلم في رسائل البيان وقيدت المنتخبات في سفائن الأشعار  
 ومع ذلك فلا ينبغي لك أن تظن هذه الحرية مستلزماً للتشويش . كلابل  
 هي بالعكس باعثة على حسن الانتظام . وايضاحاً لذلك نقول : تأمل في الحديقة  
 الملوكية التي في قصر فيرسايل بالقرب من باريس تجدها في غاية من التسوية  
 والتعشيب والتقضييب والتنظيف والجرف والكري والترميل مشتملة على كثير من  
 الشلالات الصغيرة ، والبحيرات الصغيرة ، والروضات الصغيرة ، وفيها من التصاوير  
 الخاسية ما هي على هيئة آلهة البحر ، نصفها سمكة والنصف الآخر انسان . وهي  
 ساجحة على الماء ومتجمعة فوق بजार اصناعية جلبت من نهر السين بصرف النفقات  
 الباهظة . وفيها من تماثيل المرمر والرخام ماهو على صورة آلهة اليونان والرومان ، وهم  
 يغازلون هور الجنان ، ويمزفون بالمزامير والعيوان ، وقد أحدثت بهم أشجار السمرو  
 العالية على هيئة رمزية . وترى شجر اللبان في شكل اسطواني ، وشجر الليمون في  
 شكل كروي ، وشجر الآس في شكل منحرف ، وأشجاراً كثيرة لم تكن في أصل  
 خلقتها الطبيعية على أشكال منتظمة ولكنها اقتضبت بمقتضى البستاني وهندمت بالآلاته  
 الزراعية . ثم قايس بفكرك بين هذه الحديقة المصنعة وبين غابة عذراء من غاب

العالم الجديد تجد فيها أشجاراً ونباتات على سائر الاشكال من غياض ، وآجام وآيك ، ودوح ، وكلاء<sup>(١)</sup> وحشيش ، وعشب طويل ، ونبات متهرش بلباب وشوك وأوراق مختلفة . وفيها مروج نضرة كأنها بين تلك الاشجار الصلبة الشائخة شوارع أو طرق واسعة لا يسقط فيها نور الشمس ولا يمتد ظل الشجر الاعلى بساط من الخضرة . ويظهر في تلك الغابة ألف نوع من الطير بألف لون من الريش . وتجري فيها أنهار كبيرة تقطع الاشجار وتسحب جزراً مكالة بالازهار . وتندفق المياه الجارية من مكان أعلى الى مكان أسفل فتحدث الشلالات . ويتخلل الضياء بين تلك المياه الساقطة فينساب الى قوس قزح . ويتألف من هذا الهدير والحرير والتغريد والزئير الحان وحشية لامثيل لها . - فنحن لا نقول : أين العظمة ؟ أين العزة والجبروت ؟ أين الجمال الحقيقي ؟ بل نسأل فقط : أين الانتظام وأين عدم الانتظام ؟ فهناك مياه حُبست وحولت عن مجراها الطبيعي لتندفق من ينابيع صناعية وتركد في حياض مخنفة ثم تمنن فيها . وهناك أيضاً آلهة تحجرت ، وأشجار قلعت من الارض التي انبتت فيها ، ونقلت من الاقليم الذي ربيت فيه ، وحرمت من شكلها الطبيعي ، ومن ثمارها الطيبة ، واكرهت على تحمل منجل البستاني يفعل فيها حسب اهوائه ومشيئته ، ويديرها كيف دار حبل استقامته ، فالانتظام الطبيعي مضاد ، مكموس ، مقلوب ، مخروب ،

وأما هنا فبالعكس كل شيء خاضع للاموس لا يتغير . وفي كل شيء آية على وجود اله حي<sup>(٢)</sup> . وقطرات الماء تنحدر في مصبها وتجري أنهاراً تجتمع وتصير

(١) واشهرها غاب اميركا وغاب افريقيا ومنها غابة الكونغو . والغاب جمع غابة . والغياض جمع غيضة وهي مغيض ماء يجتمع فينبت فيها الشجر وتجمع ايضاً على اغياض . والآجام والاجيات جمع اجمة وهي من القصب . والايك جمع ايكة وهي الشجر الكثير الملتف . والدوح جمع دوحة وهي الشجرة العظيمة من اي نوع . والكلاء هو العشب رطباً كان او يابساً . والحشيش هو الكلاء اليابس . اه تخنار الصحاح

(٢) وفي كل شيء له آية تدل على انه واحد ( ابو العتاهيه )

بجاراً . وبذور النبات يخنار الارض الصالحة له ويصير أحراجاً . وكل نجم (١)  
 وكل شجرة صغيرة أو كبيرة تنبت في فصلها وتنمو في أرضها وتثمر ثمرتها فتنضج في  
 أوانها . فكل ما في هذه الغابة جميل حتى الشوك . فنسأل أيضاً أين الانتظام ؟  
 فاختر إذا بين أحسن ما أنت به الصناعة البستانية وبين مصنوعات الطبيعة ،  
 بين ماهو جميل بحسب الاصطلاح وبين ماهو جميل بغير القواعد الاصطلاحية بين  
 أدب مصنع مرصع وبين شعر مبتكر لم ينسج على منواله أحد  
 ربما قال معترض بأن الغابة العذراء البعيدة عن الناس قد يربض فيها ألف  
 حيوان مفترس وأما حياض الحديدية الصناعية التي استنقمت المياه فيها فلا تحتوي في  
 الغالب الا على قليل من الضفادع المستقرة . فهذا الاعتراض وارد مع الاسف .  
 ولكن اذا خيرنا فنحن نفضل التماسح المفترس على الضفدع القدر . كما نفضل بربرية  
 الشاعر الانكليزي شكسبير على خسافة عقل الشاعر الفرنسي قاميسترون ( ولد في  
 طولوز ١٦٥٦ - ١٧٢٣ م )

ومن المسائل المهمة المقتضى بيانها هو ان الانتظام يمزج بالحرية في الادب كما  
 يمزج بها في السياسة . لابل الانتظام نتيجة للحرية فيهما جميعاً . ولكن ينبغي التفريق  
 بين الانتظام وبين رعاية القواعد . فرعاية القواعد أمر لا يتعلق الا بالشكل الخارجي .  
 وأما الانتظام فينتج من باطن الاشياء أي من ترتيب العناصر الاصلية التي في  
 الموضوع المبحوث عنه ترتيباً يستحسنه الذوق . فرعاية القواعد هو تأليف مادي  
 ووضع انساني . وأما الانتظام فهو أشبه بالامر الالهي . فهاتان الخاصتان المتخالفتان  
 في ذاتهما كثيراً ما توجد احدهما بدون الاخرى . فالكنيسة المبنية على القالب  
 القوطي يظهر لنا فيها انتظام بديع رغماً عن سداجتها وعدم رعاية قواعد البناء فيها .  
 وأما الابنية الفرنسية الحديثة التي بنيت على قوالب ابنية اليونان والرومان وقد  
 البنائون في بنائها تقليداً أعجبياً بغير ذوق ولا مهارة فتظهر لنا غير منتظمة رغماً عما في  
 بنائها من رعاية القواعد المعمارية . فالمؤلف العادي لا يتعذر عليه تصنيف تأليف

على حسب القواعد . وأما وضع الانتظام في التأليف فلا يتيسر الا لدوي العقول  
الكبيرة من المؤلفين . لان الخلاق<sup>(١)</sup> الذي ينظر من الاعلى ، ينظم . والمقاد  
الذي ينظر من القرب ، يطبق على القواعد . فالاول يعمل بمقتضى ناموس طبيعته .  
والثاني يتبع قواعد طريقته . فالصناعة الهام الاول . وعلم للثاني . والحاصل رعاية  
القواعد هي ذوق التوسط<sup>(٢)</sup> . والانتظام هو ذوق القرينة . ومن هنا يفهم الفرق  
بين أدب الطريقة الرومانية وبين أدب الطريقة المدرسية

واعلم ان الحرية في هذا المقام لا ينبغي أن تصل الى الفوضى . وان الخروج  
عن الاسلوب لا يقتضي أن يكون وسيلة لتجوير اللحن والغلط . فيقدر ما ينهور  
المؤلف في الخروج عن الاسلوب يلزم أن لا يكون في تأليفه لومة للأثم . لانه اذا  
أراد التفوق في حق واحد على غيره يجب أن يكون معه عشرة حقوق زائدة عليه .  
وبقدر ما يهمل علم البيان والمعاني يجب عليه أن يراعي علم النحو والصرف ولا يجوز  
له خلع ارسطوطاليس البياني<sup>(٣)</sup> الا اذا اجلس مكانه فوجيلاس النجوي<sup>(٤)</sup> . وتنبغي  
محبة ( صناعة الشعر ) التي الفها بوالوالاجل انشائها على الاقل ان لم يكن لاجل ما فيها  
من القواعد . فالكاتب الذي له أقل اهتمام بما يكتبه يجتهد دائماً بأن يصفى منطقه  
بدون أن يمحو الصفة الخصوصية التي يفصح بها تعبيره عن شخصية فكره . فادخال  
التعبيرات الجديدة في الكلام ما هو الا دليل على عدم المندرة . واللحن في  
الاعراب لا يأتي بمعنى جديد<sup>(٥)</sup> . فالانشاء مثل الزجاج كلما صفا تلاًلاً

(١) اي تخلق المعاني (٢) اي المتوسط في الادب الذي لم يبلغ شأوا المتضلع فيه  
(٣) وقد نلخص ابن رشد كتاب ارسطوطاليس في الشعر وطبعه المستشرق فوستو  
لازينو في فلورانس سنة ١٨٧٣ (٤) نجوي فرنساوي الف كتاب ( الملاحظات على  
اللغة الفرنسية ) ( ١٥٨٥ - ١٦٥٠ ) وهذا ما قاله الجرجاني في اسرار البلاغة المطبوع  
خيراً في مصر « ان تكون الالفاظ مما يتعارفه الناس في استعمالهم ويتداولونه في زمانهم ولا  
يكون وحشياً غربياً ، او عامياً سخيفاً ، سخفه بازالتد عن موضوع اللغة واخراجه عما فرضته  
من الحكم والصفة ، كقول العامة ( اشغلت ) و ( انفسد ) (٥) لا كما يقولون ليس  
على المطرب ان يعرب

ربما أوضح مؤلف هذا الكتاب في غير هذا المحل كما أشار اليه هنا . ولكنه قبل أن يختم كلامه يستميج القراء في بيان ان رأي التقليد ( أي رعاية الاسلوب ) الذي وصى المتقدمون باتباعه حفظاً للطرق الادبية ، ظهر له دائماً بأنه بلاء على صناعة الادب . فهو لا يُجوزُ للكتابة التقليد ولا لاساليب الطريقة الرومانية فضلاً عن الطريقة المدرسية . لان الذي ينسج على منوال شاعر من شعراء الطريقة الرومانية بصير بالضرورة مدرسياً مادام انه يقلد . فسواء عليك كمنث صدى الشاعر الفرنسي راسين أم كنت انعكاساً لنور الشاعر الانكليزي شكسبير فما أنت أبداً الا صدى وما أنت الا انعكاس . ولوتيسر لك النسخ بالتام على صورة شاعر من ذوي القريحة . تفوتك دائماً غرابته <sup>(١)</sup> أي قريحته . فلنعجب بأكابر الشعراء ولا نقادهم . وانعمل بطريقة أخرى . فان نجحنا فنعلم . وان سقطنا فما الاهمية ؟

يوجد مائعات للتصبير اذا غطست فيها زهرة أو ثمرة أو عصفورة وتركتها مدة تكسوها قشرة سميكة حجرية وتحفظ في الحقيقة اشكالها الاصلية . ولكن رائحة العطر ، ولذة الطعم ، وحركة الحياة فقدت . فالتعاليم المتشدق بها ، والقياسات المنطقية الاسكولاستيقية ، وسريان داء العادة ، وجنون التقليد ينتجن عين هذه النتيجة . فاذا دفنت فيهن قواك الغريزية وتخيالك وفكرك فلا تخرج منهن أبداً . وما تستخرجه منهن ربما تجده محافظاً على شيء من ظاهر العقل والقريحة والذكاء ولكنه يكون متحجراً كتلك الاشياء المصبرة

فأصحاب الطريقة المدرسية يقولون « يجيد عن طريق الحقيقة والجمال كل من لم يتبع الاثر الذي طبعه باقدامهم الساكون قبله في هذا الطريق » فهذا خطأ . وأصحاب الطريقة المدرسية يخلطون بين العادة والدأب وبين صناعة الادب . ويمشون على اثر العجالات توهماً بأنها الطريق

(١) يقول ادباء العرب هذا البيت من الغريب المبتكر . وراسين كما لا يخفى هو

امام الطريقة المدرسية وشكسبير امام الطريقة الرومانية

فالشاعر لا ينبغي أن يكون له الا نموذج واحد وهو الطبيعة ودليل واحد وهو الحقيقة . ولا ينبغي له أن يكتب مع ما كتب بل مع نفسه وقلبه . ومن جميع الكتب المتداولة بأيدي الناس ينبغي له درس كتابين فقط . أواميروس والتوراة . فهذان الكتابان المحترمان - اللذان هما أول الكتب تاريخاً وقيمةً وكادا يكونان قديمين كالدينا - هما في حد ذاتهما عالمان للمعاني . ويجد فيهما الكاتب بنوع ما الخليفة بأجمعها مصورة في شكل مضاعف في أواميروس مصورة بقرحة الانسان وفي التوراة بالهام الله

انتهى في اكتوبر سنة ١٨٢٦

وبعد المقدمات النظرية البليغة ورد في هذا الديوان المنظومات وهي تزيد على خمسين منظومة بديعة اظهر فيها من رقة الالفاظ وجودة المعاني وقوة التخيل والتصوير ما حمل ادباء العصر وشعراءه على الافرار والاعتراف له بالفضل والشاعرية وبالقبض على زمام الصناعة الادبية . وأحسن هذه المنظومات المنظومة التي عنوانها « فائده » وهو اسم ابالة على شاطئ البحر المحيط في شمال بوردو اشتهرت ايام الانقلاب الكبير بالحرب الاهلية التي حدثت فيها بين حزب الجمهورية وبين المنتصرين للملوك من الاعيان والرهبان . وكذا المنظومة التي عنوانها ( عناري فيردون ) وفيردون مدينة على الحدود الالمانية ومشهورة في التاريخ قديماً وحديثاً . وأبدع فيكتور هوغو في رثاء الذين قتلوا ونكبوا في تلك الحروب الاهلية وكان اذ ذلك على مذهب الكاثوليكين ونياسة الملوكيين . ومن قصائد هذا الديوان ومنظوماته البديعة ( لويس السابع عشر ) و ( اعادة تمثال هانري الرابع ) و ( موت دوق برّي ) و ( ولادة دوق بوردو ) و ( تعمد دوق بوردو ) و ( جنازة لويس الثامن عشر ) و ( نتويج شارل العاشر ) و ( الى عمود ميدان فاندوم ) و ( الى والدي ) و ( حرب اسبانيا ) . الخ

افتتح الشاعر هذا الديوان بمقدمتين وختمه بشروح مفيدة وأورد فيه احدى

وأربعين منظومة وقال بأن الباعث على نظمها اتجاه أنظار الادباء نحو الشرق بمد  
ان كانوا منذ عهد لويس الرابع عشر لا يبحثون الا في آداب اليونان والرومان  
ومعارفهم . ففي القرن التاسع عشر اقبلوا على درس لغات الشرق وآدابه وتاريخه  
وعالومه . فوجدوا فيه الافكار والتخيلات عبرانية ، تركية ، يونانية ، فارسية ، عربية ،  
اسبانية . لان اسبانيا جزء من افر يقيا وافر يقيا جزء من آسيا لوجود مشابهة وعلاقة  
بين كل منها والاخرى . وشبه ما في هذا الديوان من المعاني والتخيل بمدن اسبانيا  
القديمة المشادة على نمط المدن الشرقية . ووصفها بأن فيها منزهات لطيفة تظلمها  
أشجار الليمون وتجري من تحتها الانهار . ويسطع نور الشمس على ميادينها الواسعة  
المعدة للاحتفال بالمواسم والاعياد وأزقتها ضيقة موصلة بعضها مظلم وبعضها غير نافذ  
ولا مستقيم . وأبنية دورها من جميع الازمان وعلى سائر الاشكال منها العالي  
والمنخفض والمسود والمبيض والمصبوغ والنحوت والمنقوش . واتصلت العمارات بعضها  
ببعض من دور وقصور وفنادق وأديرة وثكنات للمساكر . وكل منها يختلف عن  
الآخر في طرز البناء والاسلوب المماري ويدل على نوع غريب قائم بذاته .  
وأسواقها غاصة بالانام يملو فيها الصياح والخصام . واذا دخل الاحياء مقابرها وقفوا  
سكوتاً كأنهم أموات وفيها المراسح والكنائس والمشاق التي بقي أثرها من الازمان  
الغابرة . وفي وسط كل مدينة كنيسة الجامعة مبنية على القالب القوطي المعروف .  
وهناك أيضاً الجوامع قائمة بين اشجار النخيل والجيز وفيها مغطاة بالنحاس  
والتصدير وأبوابها مصبغة وحيطانها مجلاة منقشة ونوافذها عالية وعلى كل باب كتبت  
آية قرآنية . ورصفت الارض ورصمت الجدران بالفسيفساء . فأصبح كل جامع من  
هذه الجوامع كأنه زهرة كبيرة تفتحت في نور الشمس وفاج طيبها في الجو .

وكان تأليف هذا الديوان في اثناء حرب الموره وأستقلال اليونان لان الثورة  
ظهرت سنة ١٨٢١ في الموره وسبرت الى بقية الولايات والجزر اليونانية وأستولى  
الثائرون على اثينا وأسسوا فيها حكومتهم وعينو ماورو وقورداتورئيساً عليهم . وكان  
من جملة زعماء الثورة ربان سفينة يونانية يدعى فنارى هجم ليلة ١٨ و ١٩ حزيران

سنة ١٨٢٢ على الاسطول العثماني الراسي على جزيرة ساقر وأحرق بعض مراكبه . فسأقت الدولة العلية على اليونان رشيد باشا من الروم ايلى وابراهيم باشا من مصر وكانت المساكر المصرية مدربة على النظام الجديد . فخرجت بالمركب الى شبه جزيرة المورة واخذت ثورتها واسترد رشيد باشا ائمنه وكادت الفتنة تنام لو لم توقظها أوروبا باحراق المراكب العثمانية . وذلك ان الافرنج لما رأوا انخماد ثورة اليونان قامت الجرائد والشعراء تهيج الافكار العمومية في اوربا على العثمانيين وتنتصر لارباب الفساد والمصيان من اليونانيين . فتدخلت في المسئلة انكازه وروسيا وفرنسا وبعثوا اساطيلهم فأحرقت الاسطول العثماني وأغرقته بدون اعلان حرب على الدولة العلية ولا مراعاة للحقوق المتعارفة بين الملل والامم . وجرت هذه الحادثة المؤلمة بتاريخ ٢٠ تشرين اول سنة ١٨٢٧ امام فرضة نافارين في جنوب الموره واشتهرت في التاريخ بواقعة نافارين . ثم انتشبت الحرب بين الدولة العلية وروسيا واخذت المساكر العثمانية بلاد اليونان وعاد ابراهيم باشا لمصر وصارت اليونان ايلة ممتازة تحت سيادة الباب العالي ثم اعلان استقلالها تماماً

فشعراء الافرنج لم يقنعوا كسعاء الغرب على مدح الامراء والتغزل والرثاء بل هم يبحثون في السياسة الداخلية والخارجية ويروجون الرأي الذي يرونه . ولذا اتبع فيكتور هوغو في السياسة خطة استاذه شاتوبريان وخطة اللورد بايرن . وهذا الشاعر الانكليزي بعد ان خدم السياسة اليونانية بقلمه أراد ان يجرب فيها سيفه ويثبت اقتداره في ميدان الحرب كما أثبتته في ميدان الادب . فنزل من قصور لوندرة الى اكواخ ميسولونكي من بلاد اليونان ومات فيها بالحفي . وتهور في فعله وخاطر بنفسه كما خاطر المتنبي حينما خرج قاصداً الكوفة سنة ٣٥٤ فلقمه اعراب من عشيرة فاتك بن الجهل الاسدي وأخذوا مامعه وانصرفوا . فقال له مفلح وكان من اتباعه ألت القائل :

فالحيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم  
فقال بلى وأظهر الشجاعة حيث ينبغي اظهار الحزم والرأي وكر على الاعراب

كرة الفوارس فقتلوه وقتلوا ابنه معه . وأسس الانكليز جمعية دعوها جمعية بايرن ( بايرن سوسيتي ) وغايتها حماية المسيحيين في الممالك العثمانية كما هو مقاصد هذا الشاعر وأمانيه ولهذا الجمعية شعبية في الأستانة وأخرى في أتينه وغيرها ولها علاقة بالمسئلة المكدونية كما كان لها علاقة بالمسئلة الكريديية

وتوهم شعراء الافرنج في انتصارهم لليونان ان الموجودين في هذه العصور هم من نسل اولئك الابطال والفلاسفة الذين انقضوا في القرون الغابرة واورثوا المسلمين علومهم وفلسفتهم . فهذا هو السبب الذي حمل فيكتور هوغو على التعصب لليونان على العثمانيين وعلى تحريضه أمم النصرى على قتال المسلمين ومناذاته بالحرب الصليبية . وكان لم يزل في سن الشباب وعلى سياسة المذهب الكاثوليكي والحزب الملوكي . ولم يك بعد اهتدى للتوحيد الفلسفي ومحبة الانسانية ولا لاتباع الانصاف الذي ذكره المعري بقوله

والدين انصافك الاقوام كلهم وأي دين لابي الحق ان وجبا  
وفعل الافرنج ما فعلوه من الانتصار لليونان بلا مشوق ولا مستصرخ فظن  
الارمن والبلغار في يومنا بأنهم يتمكنون من استمالة اوروبا اليهم بالاستصراخ  
والتصويت والانشيد الحماسية فمقدوا في أوروبا المجتمعات وخطبوا فيها الخطب  
المهيجة على غير فائدة وبعد انقضاء المعرض الاخير بباريس بعث المقدونيون شاعرهم  
المفلق ميخايلوفسكى مع وفد من ادبائهم لامهات مدن اوروبا فكان يكثر من انشاد  
القصائد الشريقيات ليفكتور هوغو ومن انشاد اشعار بايرون الانكليزي ومن تنظير  
هذه القصائد والنظم على منوالها باللسان البلغاري ثم ترجمتها للفرنساوية وتلاوتها على  
الحاضرين في المجالس بكل شوق وحماسة وطنية وهيجان عظيم ومع ذلك لم تنفعل  
أوروبا ولا تأثرت الافكار العمومية فيها كما تأثرت ايام استقلال اليونان لاسباب  
كثيرة منها ان الجمال لا يتكرر . والامم أصبحت تنظر لمنافعها الاقتصادية والتجارية  
اكثر من التفاتها للحماسة الجاهلية . وتوهم شبان مصر ماتوهمه هؤلاء أيضاً أيام بعثوا  
صاحب جريدة اللواء الى باريس يحمل صورة عظيمة تمثل مصر وهي في الاسر

وتحتها أبيات عربية تستغيث فيها من مجاس الفواب الفرنسي كما هو معلوم ومطلع  
الابيات : افرنسا يامن نصرت البرايا . . . . انصري مصر ان مصر بسوء . . . الخ  
اما عنوان المنظومات التي في هذا الديوان فهي « الصاعقة » و « قناري » سمي  
هذه المنظومة باسم احد زعماء الثورة المتقدم ذكره ووصف بها المعارك البحرية  
وصور فيها اعلام الدول وهي تخفق على المراكب الحربية . وقصيدة « رؤس السراي »  
نظمها سنة ١٨٢٦ على اثر الاشاعة الكاذبة التي اشاعتها الجرائد عن موت قناري  
بقبلة اصابته في محاربه ميسولونكي وعن ارسال رأسه مع رؤس رفقاته الى الاستانة .  
ووصف في هذه المنظومة السراي وما فيها من السراري والطواشية والبذخ والقصف  
ورثى قناري ورفيقين له الفجع رثاء وحرص أمم النصراري على قتال المسلمين .  
و ( نافارين ) صور فيها محاربة نافازين العدوانية وظهر الشجاعة بحرق المراكب العثمانية  
ومن ابياتها قوله « مضت ست سنوات ونحن نرى افريقيا تركز لمساعدة اسيا على  
أمة تعلمت كيف تموت . و ابراهيم الذي لا يسكنه شيء طار من البرزخ الى السطح  
كانه صقر بلا وكر ، كانه ذئب يحكم في حظيرة الغنم . فهو يجري الى حيث تستدعيه  
الغنيمة فاذا عاد الى خيمته رمى بيده الرؤس الى السراي . »

ومن منظومات هذا الديوان أيضاً ( حض المفتي على الجهاد ) و ( كدر الباشا )  
صور فيها جلوس الباشا في دائرة الحرم حزينا وارتابك رجال المعية والخدام والخصيان  
وتساءلهم عن سبب حزنه وعما ينقصه من النعم التي هو غريق فيها بين رقص الجوارى  
وغناء الغانيات في قصور عاليات مفروشة بالحريز والديباج تعبق فيها روائح المسك  
والعنبر ودهن الورد . فوجدوا كدره لاعلى خراب البلاد ونهب العباد وكثرة الظلم  
والاستبداد وانما هو على موت خصيه الحبشي . ومن هذه المنظومات أيضاً ( اغاني  
قرصان البحر ) صور فيها كيف كانت المراكب تجري في البحر المتوسط وتغير على  
مافي سواحل من بلاد الافرنج وتأسر البنات والغلمان وتبيعهم في السرايات  
وللباشاوات . ومنها ( الاسيرة ) و ( ضياء القمر ) و ( النقب ) صور في هذه المنظومة  
غيرة الاخوة على اختهم وقتلها لانكشاف الحجاب عنها بسبب الهواء وهي مارة في

الطريق امام باب الجامع وبهد قنلها كفنوها وقالوا لها هذا حجاب لا يكشف ستره .  
ونحو ذلك من القصائد

ولم يدع مدينة من مدن الشرق المشهورة الا وذكرها في هذا الديوان . وأكثر  
من ذكر مدن ايطاليا واسبانيا ادخالاً لهما في الشرق . وكان لهذا الديوان رواج  
عظيم حينما نشر لعلاقته اذ ذاك بالمسائل السياسية الحاضرة . اما اليوم فقد ذهبت  
طلاوته وزال رونقه وقلت الرغبة فيه . لان فيكتور هوكو فضلاً عما كان عليه اذ  
ذاك من التعرض والتعصب الاعمى لم ير الشرق بعينه ولا عرفه الا بدرس الكتب  
ومطالعة ما نظمه الشعراء مثل شاتوبريان وبايرون وكوتيه ناظم (ديوان اورينتال)  
وامثالهم وطالع ايضاً ما ترجم من كلام الحافظ الشيرازي والشيخ سعدي صاحب  
الكلمستان . ومن شروط اهل الطريقة الرومانية الكتابة والنظم عن رؤية وانفعال  
نفسى ولذا يجدون شعور فيكتور هوكو في الشرقيات مبهماً وكلامه مصنماً لاطبيعيماً .  
بخلاف القسم المتعلق بالاندلس واسبانيا من هذا الديوان فلم يزل له رونق واعتبار  
عند أدباء الافرنج . لان الشاعر زار اسبانيا في صباه وقرأ مع أولادها في المدرسة  
فساعدته ذاكرته على وصف ما فيها بأحسن صورة وأبدع أسلوب . ومنظومته التي  
عنوانها (غرناطة) هي السحر الحلال كانها كتاب في الجغرافية أفرغ في قالب شعري  
ومنها يتضح تبحر الشاعر في علوم الجغرافيا والتاريخ والآثار القديمة والفلسفة وقد  
ترجمنا هذه القصيدة بالحرف لتعلم أساليب الشعر الافرنجي ومناحيه :

## ٢ غرناطة

لا توجد مدينة لا بعيدة ولا قريبة ، لا عربية ولا اسبانية تنازع غرناطة الجميلة في  
تفاحة الحسن<sup>(١)</sup> . ولا تظهر اكثر منها ابهة شرقية ولا رشاقة تحت سماء اللطف من  
سمائها . قانس فيها النخل . مرسية فيها اشجار البرتقان . جيان فيها القصر القوطي ذو  
القال الغربية . أغريدة فيها الدير الذي بناه القديس ادمون . سينغوفه فيها الهيكل الذي

(١) اشارة الى تفاحة الحسن التي تخاصمت عابها آلهات اليونان كما فصل خبرها

في الاساطير اليونانية

تقبل اعنابه وفيها قناة قائمة على ثلاثة صفوف من القناطر تجر اليها المياه من قمة الجبل •  
 لير فيها الابراج • برشاونه فيها عمود على رأسه منارة مطلة على البحر • تودله ( تطيله )  
 راعية لصداقتها ملوك اراغون وهم في قبورهم التينة وحافضة لصولجانهم الحديد • طلوشه  
 فيها سوق الحدادين المظلم كان دكا كينه في الدجا منافس على جهنم  
 السمكة التي شفت في غابر الازمان عين توبيا من العماء تلب في جوف الخليج الذي  
 رقدت فيه ( فونتارابي ) (١) • اليقانت تترج فيها المآذن بالجرسيات • قومبو ستله فيها  
 قديسها • قرطبه فيها الدور العتيقة وفيها الجامع الذي تحار العين في عجائبه • مادريد فيها  
 نهر مانزانارس • بلباو تغطيها امواج البحر ويكسي المرح الاخضر سورها المسود من  
 الهرم • مدينة ذات الشجاعة العظيمة تحفي فقرها من كبرها تحت رداء دوقاتها وليس لها  
 شي سوى شجر الجميز لان قناطرها الجميلة من بقايا العرب وقنواتها من بقايا الرومان •  
 بلنسية فيها جرسيات كنائسها الثلاثمائة • القنطرة ذات التي اسلمت لهبوب النسيم رايات  
 الترك المعلقة على عواميدها (٢) • سلامنكه تجلس وهي ضاحكة على ثلاث تلال وتنام على  
 نعمات الاوتار وتستفيق مذعورة من جلابة اولاد المكاتب الصغار • طرطوشه غالية على  
 القديس بطرس • بويمرده الغنية فيها المرمر مثل الاحجار • تويه تفتخر بقلعتها المشمسة  
 الشكل • طرّاكونة تفتخر بسوارها التي بناها أحد الملوك • سموره يجري من تحتها  
 نهر دورو • طليطلة فيها القصر العربي • اشبيلية فيها جبرالدة • برغه وضعت ثروتها على  
 قنطرة • بينافلور مركيزه • جيرونه دوقه • بيغاره كأنها زهدت في الحلي الفخيمة •  
 بابلونه المظلمه متهيئة دائماً للحرب وقبل ان تنام على ضوء القمر تقفل الابراج المحاطة  
 بها كالمنطقة

فهذه المدن الاسبانية اما منثرة في السهول او مرتفعة على الجبال • وفي جميعها قلاع

(١) توبيا من اتقياء بني اسرائيل ذهب حينما اسرههم شامنصر الى نينوى وعمي  
 بصره فخرج ابنه يفتش له عن دواء واجتمع بالملك اسرافيل عليه السلام فوصف له سمكة  
 يأخذ مخها ويكحل به والده ففعل وعاد اليه بصره وعاش بعد اربعين سنة أخرى وكتبت  
 سيرته في رسالة ألحقت بالثوراة • وأما فونتارابي فقيل معناها عين العرب وقيل غير ذلك  
 وهي على الحدود الفرنسية من جهة البحر المحيط

(٢) لعل مراد الشاعر الرايات التي يحملها النصارى من الاراضي المقدسة التابعة

لترك ويعاقونها على عواميد الكنائس تعبداً

لم تضرب يد الاعداء فيها بالنواقيس • وفي جميعها كنائس جامعة لها جرسيات حلزونية الشكل <sup>(١)</sup> • ولكن غرناطة فيها الحمراء

الحمراء وما ادراك ما الحمراء قصر زوقته الجن وملاّته بالمحاسن كأنما هو في الحلم • بل وقاعة ذات شرف مخرمة مقلبة اذا جن الليل سمعت منها اصواتاً سحرية واذا طلع القمر من وراء اقواسها العربية الكثيرة وانعكس نوره على الجدران احدث عليها نقوشاً بيضاء عجيبة • غرناطه فيها من العجائب اكثر ما في الرمانه من الحب الذي لونه كلون العقيق وينبت الرمان في وديانها بكثرة • غرناطه اسم على مسمى • غرناطه اذا اشتعلت نار الحرب فقعت في وجوه اعدائها اشد من فقع القنبلة الحمراء بمائه مرة

اذا اجابت (فيفاتوبن) (فيقاونلد) بدفها المزين بالاجراس او تتوجت (جنبة العريف) بالنور وامست كأنها خليفة ورفعت في ظلام الليل قمتها المضيئه فلا شيء أجمل من ذلك ولا شيء اعظم من ذلك • وتعزف الابواق من (أبراج العقيق) كأنها جمهور نحل تسوقه الرياح • وفي القوافه نواقيس مهيبة دائماً لاعلان الافراح • وتطنطن في ابراجها الافريقية لتوقظ من في البيضاء • غرناطه لا تجارها الرقباء ولا في شيء • غرناطه تفني الاغاني الرقيقة بارق مما هي • وتصبع دورها بابهي الالوان • ويقال بان النسيم تجبس انفاسها اذا نثرت غرناطه في ليلة من ليالي الصيف نساءها وازهارها في سهوها

جزيرة العرب جدتها • والعرب الرحل المقتحمون انما قطعوا اسيا وافريقيا من اجلها فقط • ولكن غرناطه كاثوليكية • غرناطه فحكت منهم • غرناطه تلك المدينة الظريفة لو امكنها ان تكون اثنتين لكانت اشيلية أخرى • انتهى

فان كان هذا وصف غرناطه عند فيكتور هوكو فكيف يكون وصف اشيلية • ولا يخفى ما في تعداد هذه المدن الاسبانية من الاهمية في تاريخ آداب العرب لانتساب الكثير من العلماء والادباء اليها كالشريشي شارح المقامات والشاعر الاشيلي والشاطبي ناظم الشاطبية وكثير من أمثالهم • وأما قوله اذا اخرجت غرناطه نساءها وازهارها للسهول تجبس النسيم انفاسها فهو من تشابه اصحاب الطريقة المدرسية على حد قول العرب اذا برزت الحسناء احتجبت الشمس خجلاً ونحو ذلك

اما غرناطه فهي في اسفل جبال نقاده (سييرانقاده) وعلى مجتمع نهري دارو

وجنيل المنصب في الوادي الكبير وهي مبنية على ثلاث تلال يمتد تحتها سهل واسع من اجل السهول يسمى لافيكة . وغالب ابنتها من القرميد الاحمر رصفت بعضها فوق بعض فاشبهت الرمانة المفلوقة . ولذا سميت غرناطة ومعناها الرمانة واشهر ابنتها الحمراء وهي على تلة يجري من تحتها نهر دارو وفيها برج عظيم على رأسه شرف ولونه عقيقي ولذا قيل له ( ثور فيرمبل ) . وتجاه الحمراء ( الباسين ) اي البيضاء وهي حارة من حارات غرناطة وهي مشتملة على دور لطيفة للسكن . وبقرب الحمراء جنة العريف ( جنراليف ) وهي قصر للصيف من ابداع القصور مرتفع على قمة عالية وسميت الحمراء لانها مبنية بالقرميد الاحمر ومنظرها الخارجي ليس بمجيب فاذا دخل الزائر من بابها انهر بما يراه داخلها من التزيين والنقش العربي ( ارابسك ) والتزويق والترصيع بالفسيفساء والتصفيح بانواع المرمر والقيشاني وكتبت عليه آيات قرآنية وعبارة ( لا غالب الا الله ) . وفي كل زينة من تزييناتها او تزويقة من تراويقها دليل على سلامة الذوق والمهارة اتمامة في الصنعة وحسن الانتخاب . ومشمات الحمراء دوائر كثيرة وساحات ومخادع واروقة وجنات تجري من تحتها الانهار وفيها جامع وحمامات واشهر مشمالاتها حوش السباع وهي ساحة سماوية مبلطة بالرخام الابيض يقرب طولها من ٣٠ متراً وعرضها ١٦ متراً وعلى جوانبها اروقة قائمة على عمدان من الرخام واقواس بديمة وفي وسط الساحة قصعة بيضاء قائمة على اثني عشرة سبع من المرمر الاسود يتفجر الماء من افواها ويجري في قنوات مكشوفة الى البيوت والمخادع . ولكن الماء منقطع اليوم عنها . ومن مشمالاتها الظريفة قاعة السفراء وقاعة الاخوين وغير ذلك . وقد مثلت الحمراء في كثير من المدن الاوروبية ومثلت في معرض باريس الاخير احسن تمثيل

وتفزل شعراء العرب في غرناطة باشعار كثيرة وانظم رئيس كتابها عبد الله بن زمرك موشحات لطيفة منها :

لازمة

نسيم غرناطه عليل لكنه يبرى العليل وروضها زهره بلبل ورشفه يتقع الغليل

دور

عقيلة تاجها السبيكة	تطل بالمرقب المنيف
كانها فوفه مليكة	كرسيها جنة العريف
تطبع من عسجد سبيكة	شموسها كلها تطيف

وقال ايضاً ووجه بها من فاس الى غرناطة  
لازمه

اباغ لغرناطة سلامي وصف لها عهدي السلام فلورعى طيفها ذمامي مايت في ليلاه السلام  
دور

اعندكم اني بفاس اكابد الشوق والحنين  
اذكر اهلي بها وناسي والليل في الطول كالسنين  
الله حسبي فكم اقاسي من وحشة الصحب والبنين  
لازمه

مطارحاً ساجع الحمام شوقاً الى الالف والحميم والدمع قد لج في السجام منتزاً عقده النظيم  
دور

يا ساكن جنة العريف أسكنتم جنة الخلود  
كم ثم من منظر شريف قد حف باليمن والسعود  
ورب طود به منيف ادواحه الخضر كالبنود

والنهر قد سل كالحسام لراحة الشرب مستديم والزهر قد راق بابتسام مقبلاً راحة النديم  
ولدهذا الاديب في غرناطة واتصل بواسطة لسان الدين بن الخطيب الشهير الى  
اميرها واحرز منه على رئاسة الكتاب وترجمه لسان الدين في كتابه « الاحاطة » واتى  
عليه وقيل بأن ولده كتب هامشاً على ترجمة عبد الله بن زمرك وطعن فيه وقال بأنه تقرب  
للامير بالافساد والوشاية على والده لسان الدين . وتوفي ابن زمرك مقتولاً سنة ٧٥٥ هـ  
قتلته زوجته مع ولدين له . وما قاله ايضاً في غرناطة

غرناطة منزل الحبيب وقربها السؤال والوطن تبهير بالمنظر العجيب فلا عدا ربها المطر  
عروسة تاجها السبيك وزهرها الحلبي والحليل  
لم ترض من عزها شريك بحسبها يضرب المثل  
ايدها الله من مليك يملك المجد للدول

بدولة المرتجي المهيب انلك الطاهر الاغر تحتال من بردها القشيب في حلة النور والزهر  
كرسيها جنة العريف مراتها صفحة الغدير  
وجوهر التالي عن صنوف تحكمه صنعة القدير  
والانس فيه على صنوف فمن هديل ومن هدير

كم خرق الزهر من جيب و كلال القضب بالدرر فالفنن كالكعب اللعوب والطير تشدو بلا وتر  
وحي طويلة اقتصرنا منها على ما يناسب المقام . فجنة العريف التي اكثر الشعراء من  
ذكرها هي اشبه بقولنا اليوم قصر بلديز . ونظم في بارية ايضاً موشحات لطيفة ووصف  
قصرها العجيب فقال

عليك بارية السلام ولا عدا ربك المطر مذحل في قصرك الامام فقربك السؤل والوطر  
عروسة انت يا عقيله تجلي على مظهر الكمال  
مدت لك الف مستقيله تمسح اعطافك الشمال  
والبحر مرآتك الصقيله يشف من ذلك الجمال  
الى آخره . وقال ايضاً في هذا القصر من موشح آخر

يا حبذا مبنك نخر القصور بوجه طالت بروج السما  
مامثله في سالفات العصور ولا الذي شاد ابن ماء السما  
كم فيه من مردى بهج وفور في مرثى الجو به قد سما الخ  
ومما ورد على منوال منظومة فيكتور هوكو القصيدة الشهيرة التي مطلعها ( اكل شيء  
اذا ماتم نقصان ) حيث ورد فيها

فاسأل بلنسية ما شأن مرسية واين شاطبة ام اين جيات  
واين قرطبة دار العلوم فكم من عالم قد سما فيها له شان  
واين حمص وما تحويه من نزه ونهرها العذب فيضان وملاان  
قواعد كن اركان البلاد فما عسى البقاء اذا لم تبقى اركان  
تبكي الخنيفة البيضاء من اسف كما بكى الفراق الالف هيمان  
على ديار من الاسلام خالية قد افقرت ولها بالكفر عمران  
حيث المساجد قد صارت كمناس ما فيهن الا نواقيس وصلبان  
حتى المحاريب تبكي وهي جامدة حتى المنابر ترثي وهي عيدان  
يا غافلاً وله في الدهر موعظة ان كنت في سنة فالدهر يقظان  
وما شياً مرحاً يلبيه موطنه ابعده حمص تغر المرء اوطان

وحمص هي اشبيلية وهي على الضفة اليسرى للنهر اري الوادي الكبير المنصب في المحيط  
عند خليج قادس وارتفع وراء المدينة جبل ولذا قال فيها احد واصفها  
ذكرتك يا حمص ذكر هوى امات الحسود وتعنيتها

كأنك والشمس عند الغروب - عروس من الحسن مخزونه  
 عدا النهر عقدك والطود تا جك والشمس اعلاه ياقوته  
 وهذا اشبه بقول الشريف العقيلي المنتسب لعقيل بن ابي طالب في مدينة الانسطاط  
 قاعدة الديار المصرية في اوائل الاسلام  
 تبدت عروساً والمقطم تاجها ومن نيلها عقد كما انتظم الدر  
 ونظموها في اشبيلية كثيراً من الاشعار لانها كانت دار انسهم وسرورهم ومركز عزمهم  
 وحضارتهم وكان اهلها يزيدون على اربعمائة الف نفس واما اليوم فلا يبلغ سكانها المائة  
 وخمسين الفاً . وفيها القصر الشهير المعروف عند الافرنج باسم ( القازار ) . وفيها منارة  
 جبالده وارتفاعها ( ٩٤ ) متراً وكان يرصد فيها الافلاك . ومما قيل في بلنسية المعروفة  
 بمدينة فالانس وهي على شاطئ البحر المتوسط عند مصب ( غواد الافيبار ) واليها ينسب  
 كثير من الادباء

بلنسية جنة عاليه ظلال القطوف بها دانيه  
 عيون الرحيق مع السلسيل وعين الحياة بها جاريه  
 قاله ابو العباس احمد بن الزقان ومدحها باشعار كثيرة . ومما قيل في قرطبة ايضاً :  
 بأربع فاقت الاقطار قرطبة وهن قنطرة الوادي وجامعها  
 هاتان ثننان والزهراء ثالثة والعلم افضل شيء وهو رابعها  
 وقرطبة كما تقدم على نهر الوادي الكبير والزهراء مناراتها

٣ - اوراق الخريف

افتتح الشاعر هذا الديوان بمقالة ادبية تاريخية سياسية نظر فيها نظرة عامة الى الاحوال  
 الجارية في سنة ١٨٣١ والى المسائل الخارجية وشبه القرن السادس عشر للميلاد بصراط  
 مرت عليه الام الاوربية من الجامعة الدينية والسياسية الى حرية الضمير وحرية المدينة  
 اي استقلالها بادارة بلديتها . ومن الفلسفة المنطقية الرهبانية الى الفلسفة الحسية التحليلية  
 المؤسسة على البحث والتفتيش . ومن الدين الكاثوليكي الى الدين البروتستانتي ومن  
 افانين الصناعة القوطية الى افانين الصناعة المدرسية وهي الاستفادة من درس آثار الرومان  
 واليونان . قال ولم يكن حينئذ في اوربا الاحروب دينية واحروب اهلية واحروب على  
 الاعتقاد بالسر المقدس وعدم الاعتقاد به ولم يكن يسمع فيها الاصليل السيوف وانظ  
 العلماء المتعصبين . فظهر لوتر مؤسس الدين البروتستانتي وظهر ميكل آنج مصور ( اليوم

الآخر) وهو شيخ المصورين وامامهم . وحدث انقلاب وتبدل في اوربا ولكن القلب الانساني مثله كمثل الارض . يتسرا لك حريتها وزرعها وبناء ما تريد بناءه عليها ومع ذلك لا تنفك عن انبات العشب المغروس في طبيعتها وبزوره في داخل جوفها . ولا يتمكن الحراث من الوصول الى اعماقها ولا قلب سافلها لعاليها . وكذا القلب الانساني لم يزل مغروساً فيه شيء من الافكار العتيقة ولا تزول هذه الافكار تماماً الا بهدم القلب الانساني . اذ لا يكفي ان يقلب عاليه سافلها فقط . فالذي يهدم القلب الانساني هو الشعر

وترنم الشاعر في هذا الديوان بحجة الوالدة وبذكر المعاهد البيتية واحوال الطفولية وعبر عما يجده في نفسه ويحس به في قلبه ولذا كان تأثيره على نفوس القراء اشد من تأثير ديوان الشقيقات . غير ان الشقيقات اكثر سناءً وضياءً من اوراق الخريف

اما المنظومة الاولى فمطلعها « كان لهذا العصر سنتان » يعني حينما ولد سنة ١٨٠٢ فشخص كيفية ولادته وحضانة امه وحنوها ورافتها عليه . وذكر في القصيدة الثانية بيت ابيه وكيفية الذهاب اليه وما في طريقه من المدن وما حوله من الرسوم والاطلال وما ابقاه في ذهنه من التصور واخيل . وقال في منظومة اخرى « حينما يولد الطفل تهتف العائلة باصوات الفرح ونقر عيونهم جميعاً بروية لحظه اللطيف اللامع ونتهلل وجوههم بالبشر مهما كانت حزينة او عبوسة . . . » . واطنب في وصف ما يتعلق بالمولود ومحبة امه له وخفقان قلبها عليه وكيفية نموه وعوده وبكائه واكاه وصور جميع ذلك باسلوب بديع يخال منه للقارئ كأنه في دار الولادة يسمع ويرى ما يحدث فيها من الاحتفال بالمولود . وعلى منوالها منظومة اخرى مطلعها « ما اجمل الطفل وهو يتسم » . وكان تزوج وولدت زوجته فاختر لذة العائلة وعرف حبة الاولاد ولذا خالف في هذا الموضوع المعري القائل

على الولد يجني والد ولو انهم ولاة على امصارهم خطباء

وزادك بعداً عن بنيك وزادهم عليك حقوداً انهم نجباء

يرون ابا القاهم في مؤرب من العقد ضلت حله الارباء

وله ايضاً : ابوك جني شراً وانما هو الضبُّ اذ يُسدي العقوق الى الحيسل

وهو ولد الضب ولذا كني ابا حسل ويقال في المثل هو أعتق من الضب

وهو القائل في اللزوميات ايضاً من قصيدة غراء مطلعها

ترنم في نهارك مستعنياً بذكر الله في المترنمات

ومنها ولا ترجع بايحاء سلاماً على بيض اشرن مسلمات الى ان قال

نمور الريق لسن بكل حال  
ولكن الأوانس باعشات  
صحبك فاستغدت بهن ولداً  
ومن رزق البنين فغير ناء  
فمن تُكَلِّب بهاب ومن عقوق  
وان تُعْطِ الإناث فأيُّ بؤس  
يُردن بُعولةً ويردن حلياً  
ولسن بدافعات يوم حرب  
ودفنٍ والحوادث فاجعات<sup>(١)</sup>  
وقد يفقدن أزواجاً كراماً  
يلدن أعادياً ويكنن عاراً  
يرمعنك ان خدمن بغير فنٍ  
وما الجارات الا جاريات  
ومنها  
فلا تسأل أهند أم ليميس<sup>(٢)</sup>  
ولا ترمق بعينك رايحات  
الى ان قال وساوٍ لذبك اتراب النصارى  
ومن جاورت من حنّف وسرب  
فان الناس كلهم سواء  
ومنها  
وواحدة كفتك فلا تجاوز  
الى اخرى تجيء بمولات الخ

وفي هذا المعنى ابيات من قصيدة لعقمة بن عبدة من شعراء الجاهلية مدح بها الحرث الغسافي واولها :

طحا بك قلب في الحسان طروب  
بعيد الشباب عصر حان شيب  
تكلفني ليلى وقد شط اهليها  
وعادت عوادٍ بيننا وخطوب  
ومنها  
فان تسألوني بالنساء فاني  
بصير بأدواء النساء طيب

(١) تعشم اذا دخل في الامر بشدة (٢) بغير فن اي بضروب كثيرة وخدمات ذوات خدم وهي الاخلاخل (٣) الخفيف المسلم على ملة ابراهيم عليه السلام والصابئون جنس من اهل الكتاب

اذا شاب رأس المرء او قل ماله فليس له في ودهن نصيب  
يردن ثراء المال حيث وجدته وشرخ الشباب عندهن عجيب  
فكان فيكتور هوكو عارض المعري وصور في هذا الديوان سرور العائلة بالاولاد .  
وكان لما نظمته في زهو الشباب . فالشاعران في هذا البحث على طرفي نقيض . ولكنها  
يتفقان ( في تمجيد الله الذي شرف عن التمجيد ووضع المنن في كل جيد ) وفي الحيرة وهي  
مذهب الذين قالوا رب زدني فيك تحييراً كما قال ابن الفارض

زدني بفرط الحب فيك تحييراً وارحم حشا بلغى هواك تسعرا  
فاظهر فيكتور هوكو حيرته في منظومة عنوانها ( ما يسمع على الجبل ) . قال فيها :  
بانه صعد على جبل مشرف على المحيط الغربي ووقف صامتاً ساكناً يرى السماء فوقه والماء  
تحتة ويسمع تلاطم الامواج وتضارب الرياح وامتزاج اصوات البر بأصوات البحر  
وصعودها الى الملال الاعلى . فالصوت الذي يصعد من البحر فيه جلاله وسرور وهو من  
تلاطم الامواج والهدير . والصوت الذي يأتي من البر فيه كآبة وحزن وهو من تضارب  
الرياح وتأفف الانسان من مصائب الحياة . فالبحر يرتل آيات الفرح والسلام كترتيل  
المزامير في صهيون ويحمد الخالق على ما ابدعه من جمال المخلوقات فيصعد كلامه الطيب الى  
الله . وكلما فرغت موجة من تسديحها قامت وراءها موجة أخرى تسبح الله . وأما  
البر فينادي باصوات الويل والحرب ويصرخ ويشتم ويلطم . فهذا الصراخ والعيول انما  
هو بكاء الارض وصراخ الانسان . وهذان الصوتان احدهما يقول ( الطبيعة ) والثاني  
يقول ( الانسانية ) . قال الشاعر وتأملت طويلاً في هذا المنظر الباهر وفكرت في لجج  
البحر الذي تعلوه الامواج فانفتح في قلبي لجة عميقة لا قدر لها وقت في نفسي لم تحن  
هنا ؟ ما هو الغرض من كل هذا ؟ ما تصنع النفس ؟ ايها احسن البقاء ام الفناء ؟ والله  
الذي يقرأ وحده في لوحه المحفوظ لاي سبب يمزج على الدوام غناء الطبيعة بكاء  
الجنس البشري :

قال المعري :

أرى الخلق في أمرين ماض ومقبل وظرفين طرفي مدة ومكان  
اذا ما سئلنا عن مراد هنا كفي عن بيان في الاجابة كان  
ونظم فيكتور هوكو في هذا المعنى قصيدة أخرى عنوانها ( الشمس الغاربات )  
صور فيها غروب الشمس وظهور الشفق وتكاثف الغيام على الافق . واستدل بنظره في

المخلوقات على وجود الخالق • « ان في خالق السموات والارض واختلاف الليل والنهار  
آيات لأولي الالباب الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في  
خالق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار » فأولو  
الالباب من الشعراء لاسيما الذين نهجوا منهم نهج الطريقة الرومانية لا يفترون عن التفكير  
في هذا الامر • ومما في منظومة الشموس الغاربات من لطائف الايات قوله : « هذه  
السحب المتلونة بالوان الرصاص والذهب والنحاس والحديد تستكن فيها الزوابع  
والاعصار والصاعقة والجحيم وتدمم دمدمة خفيه • فهو الله الذي يعلقها جميعاً في  
السموات العميقة كما يعلق الفارس على اوتاد البيت اسلحته المتصلصلة » (١)

ومما ورد ليفيكتور هوكو في هذا الديوان من القصائد البديعة التي سماها « الدعاء  
لجميع » قال :

يا بتي قومي للصلاة • — انظري قد عسعس الليل ، ونزل الضباب على الأفق ،  
وطلع النجم من وراء السحاب كأنه دينار • انصتي لم يبق الامركبة تكر في الظلام على  
بعد • والكل دخل ليسترج • والشجرة التي على الطريق نفضت غبار النهار بريح المساء  
( وهي الدبور ) •

زحزح الشفق عن النجوم ستار الليل وفجر كل نجم كالشرارة الحامية • ورقق المغرب  
حاشيته الحمراء • وفضض الليل في الدجا وجه الماء • وامترجت اتلام الحرات بالمسالك  
وبما حو لها من الشوك • واختفى الجميع عن العيان • والتبست الطريق على ابن السبيل •  
النهار للاذى والتعب والبنض • فلنشرع في الصلاة حيث دخل الليل • ما اصفى الليل  
وما أقره ! الراعي يعود والماشية تجأر ، والريح تعزف في نوافذ البرج ، والمياه تركد في  
الاستنقعات • والجميع يتألم ويشكو • لان الطبيعة من شدة تعبها امست في احتياج للنوم  
والصلاة والحب •

(١) سورة النبأ : ألم نجعل الارض مهاداً • والجبال اوتاداً • وخلقناكم ازواجاً •  
وجعلنا نومكم سباتاً • وجعلنا الليل لباساً • وجعلنا النهار معاشاً • وبنينا فوقكم سبعاً  
شداداً • وجعلنا سراجاً وهجاً • وانزلنا من المعصرات ماءً سجاجاً • لنخرج به حياً ونباتاً •  
وجنات الفافاً

والسبات الراحة • والمعصرات السحاب تقتصر بالمطر • والاعصار ريح نشير سحاباً ذات  
رعد وبرق (٣) والنعيق صوت الراعي بغممه

هذه الساعة هي التي يتكلم فيها الاولاد مع الملائكة . وأما نحن فنهرع فيها للملائكة الغربية . فجميع الاولاد الصغار يدعون في آن واحد بدعاء واحد . وهم راكعون على الارض واعينهم شاخصة الى السماء وأيديهم مضمومة وارجلهم حافية . ويطلبون لنا الرحمة من الله تعالى .

ثم ينامون . — وحينئذ تنثر احلامهم الذهبية في خدس الليل بعد ان تتولد من هوشات آخر النهار . فاذا رأت عن بعد انفسهم متصاعدةً وشفاهم حجرة طارت الى ناموسياتهم كما يطير النحل الى الازهار ورفرفت حولها .  
فيا عجبا لنوم السرير ! ويا عجبا لدعاء الصغار ! فهو صوت حنو ورافة لاعدوان فيه . وما احلى هذا الدين الذي يُقرُّ العين ويضحك السن ! هذا مطلع النشيد في ليلة السعود . فينمُّ الولد عقله الصغير في الدعاء كما يضع الطير رأسه تحت جناحه .

٢

يا بنتي قومي للصلاة . — وادعي اولاً وخاصة لتي هزت الليالي الطوال في سريرك . لاتي التقطت من عالم الذر وانت نفس لطيفة ووضعتك في الدنيا وصارت لك اما شفوقة وقسمت لاجلك نصيبها من هذه الحياة المرة الى قسمين فشربت الخنظل واسقتك العسل

ثم ادعي لي . فاني احوج منها لدعائك . لانها هي مثلك صالحة ، بسيطة ، صادقة ، قلبها صافي ، ووجهها راضي . شفقت علي كثيرين ولم تجسد احداً . عاقلة ، حليمة ، صابرة علي غصص الحياة ، متحملة للشربدون ان تعرف فاعله

طالما قطفت الزهور ويدها الطاهرة لم تمس قشر الشجرة المنهي عنها (١) . ولم تقع بالذبح مع ضحكة سنها . وتنسى دائماً كل ما سلف ومضى . ولا تعرف الافكار الخبيثة التي تمر في الدهن كما يمر الظل على الماء

تجهل — واجبلي مثلها دائماً — ما في هذا العالم من الشقاء المورث للنفس ، والحظوظ الكاذبة ، والاباطيل الفانية ، وكل ما عاقبته الندامة وتبكيك الضمير ، والشهوات التي ترغي على القلب كالرغوة ، وخواطر الخجل والمرارة الباعثة على احمرار الوجه

(١) قيل ان الاديب الماهر في الانتقاد الادبي سنت ريف كان يغازل زوجته فيكتور

هوغو ولدا حصل بينهما تقاطع وعداوة

انا اخبر بالحياة ويمكنني ان اقول لك متى كبرت وانقضى تعاملك بان الجري وراء  
السلطنة والسعادة والتفان هو جنون ودناءة . و بان كاس<sup>(١)</sup> الانتخابات تدور علينا  
وتسقيننا الخزي بدلاً عن الفخار . و بان الانسان يخسر نفسه في لعب هذا القمار  
كما عاشت النفس تعطشت . و بالامور وان شفت بدابتها عن نهايتها وظهرت اسبابها  
في عاقبتها فالانسان مع ذلك يشيب على الرذيلة وعلى الضلال المنفور منه . من كثرة  
المشي يتيه الانسان ويدخل عقله الشك . والكل يترك شيئاً على شوك الطريق التي  
سلكها . فالغم تترك صوفها والرجل يترك فضيلته  
قومي اذا وادعي لي . وقولي في مقام كل دعاء : « يا الله يا الله يا ربنا انت ابونا  
فارحمنا انك انت الرحيم . فارحمنا انك انت العظيم . » ودعي قولك يذهب الى حيث  
ترسله نفسك . ولا تلتقي فاكل شيء طريق . فلا تلتقي على الطريق التي يذهب فيها  
لا شيء في هذه الدنيا الا وله تجرى . فالنهر يجري ملتويًا بين السهول حتى يصب  
في البحر . والنخلة تعرف الزهرة التي فيها العسل . وكل طائر يطير ويقع دائماً على غرضه .  
فالنسر يطير ويرتفع نحو الشمس . والعقاب يهبط على المقبرة . والخطاف ( السنونو ) يطير  
في الربيع . والدعاء يصعد الى السماء  
فاذا ارتفع صوتك الى الله بالدعاء لي اكون كالعبد الذي جالس في الوادي بعد ان  
حطّ حملاه على حافة الطريق واشعر بخفة نفسي . لان دعاءك يأخذ بيده وهو صاعد جميع  
ما يثقل على عاتق من الآلام والاوزار والخطايا  
قومي ادعي لايمك . — لا صير اهلاً لرؤية طيف ملك يمر في المنام كطير الحمام .  
ولتشتعل نفسي مع اشتعال الجنور . امحي خطاياي بنفسك الطاهر ليصير قلبي معصوماً نقياً  
كأنه صحن الهيل الذي يفسل في كل مساء

ادعي ايضاً لجميع من يمر على هذه الارض من الاحياء . ولجميع الذين اندثرت ماثرهم  
بهبوب الرياح وتلاطم الامواج عليها . وللأحمق الذي يفرح بلحمان الحرير وبسرعة  
عدو الخيل . ولكل من يتألم ويشغل سواه . كان غادياً او بادياً . سواء عمل خيراً او شراً  
ادعي للمهمك في اللذات والعاكف على القبلات الى الصباح . ولن يتخذ وقتاً

(١) وهي كاس تجمع فيها الاصوات لانتخاب رئيس المجلس او غيره

فاذا ارتفع صوتك الى الله بالدعاء لي اكون كالعبد الذي جلس في الوادي بعد ان  
حط حمله على حافة الطريق واشرب من تحته في نفسي . لان دعائك يأخذ بيده وهو ساعد  
جميع ما يتقل على عاتقي من الآلام والاوزار والخطايا .

قومي ادعي لابيك . — لاصير اهلاً لرؤية طيف ملك يمر في المنام كطير الحمام .  
ولتشتعل نفسي مع اشتعال البخور . احبي خطاياي بنفسك الطاهر ليصير قلبي معصوماً  
نقياً كأنه سخن الهيكل الذي يغسل في كل مساء

٣

ادعي أيضاً لجميع من يمر على هذه الارض من الاحياء . وجميع الذين اندثرت  
مآثرهم بهبوب الرياح وتلاطم الامواج عليها . وللأحق الذي يفرح بالمعان الحرير  
وبسرعة عدو الخيل . ونكل من يتألم ويشغل سواء كان غادياً او بادياً . سواء عمل  
خيراً او شراً

ادعي للمهمك في الازدات والماكف على القبلات الى الصباح . ولمن يتخذ وقت  
الضلاة ليلهو بالرقص أو الجالوس على المائدة . ويشغل بالفحشاء في الساعة التي تتلوا النفس  
الزكية فيها دعاء المساء واذا فرغت من دعائها رجعت خائفة من ان الله لم يسمع رجاها  
يا ولدي ادعي للمستورات . وللمحبوس في القلعة . وللمواهر اللواتي يبعن  
اسم الحب الغالي . وللعامل الذي يستغرق في مطالعته ويتفكر في الخلق . وللكافر الملعون  
الذي يطعن في الشريعة المقدسة . — لان الدعاء لانهاية له . لانك تؤمنين عن الذي  
يجحد والطفولية تقوم مقام الايمان

ادعي أيضاً للذين هم راقدون تحت حجر القبر . يا لها من حفرة سوداء تفتح امامنا  
في كل آن . جميع هذه النفوس المسالكة مفتقرة لمن يزيل عنها صداء الجسم هل  
سكوتها دليل على انها لا تتألم ؟ يا اولادي لننظر تحت الارض لان الشفقة على الاموات

٤

اركبي اركبي اركبي على الارض حيث وضع ابوك اباه . حيث وضعت أمك أمها حيث  
يرقد كل من عاش عليها ورقة عميقة حفرة يمتزج فيها الغبار بالغبار . ويجد الانسان تحت  
أبيه آباء . كاللحج تحت الحج في بحر لا قعر له

(١) معري : تجاور هذا الجسم والروح برهة فما برحت تأذي بذاك وتصداً

يا ولدي حينما تسامين تبسمين \* فيأتي الطيف وهو فرح في الظلام الذي غطست فيه \*  
فيجفل من نفختك ثم يعود اليك ايضاً \* وفي النهاية تفتح عينيك الالهيتين اللتين  
أجهما \* في الوقت الذي يفتح فيه الفجر على الافق جننه وله أهذاب ذهبية فان الفجر  
عين الهية ايضاً

ولكن الاموات لو تعلمين أي نوم ينامون ! فراشهم باردة وثقيلة على عظامهم ولذا  
شنعهم \* والملائكة لا يسبحون وهم مجثمون حولهم والحيث الخيال يتقل عليهم بجميع  
ما جنته أيديهم \* ليهم ليس له فجر \* والندامة تنقلب دوداً في القبر وتفتت قلوبهم  
يمكنك بكلمة يمكنك بقول ان تجعلي ندامتهم تتخذ لها جناحاً وتطير \* وان تبغني  
بجراحة لطيفة تلذذ عظامهم \* وان تجعلي الشعاع يصيب ايضاً اجفانهم الغامضة وان  
توصلي لهم خبراً من النور والحياة وشيئاً من الرياح والاحراج والمياه

قولي لي حينما تذهبين وأنت طفلة متفكرة تدورين على شاطئ البحر المتلاطم او  
تحت الشجر الذي يملا القلب مهابة بظله وبتضارب الرياح عليه ، ألا تسمعين صوتاً يقول  
لك : يا بني حينما تدعين ألا تدعين لي ؟

هذه شكوى الاموات ! فالاموات الذين يدعى لهم ينبت على قبرهم نبات اشد  
اخضراراً واكثر ازهاراً \* ولكنهم منسيون واحسرتاه ! حتى الشيطان لا يضحك لهم  
ولا ضحكة استهزاء \* ليهم بارد مظلم \* وبعض الشجر الهائل الذي يظلل قبورهم يفرس  
دائماً عروقه في قلوبهم بلا شفقة عليهم

ادعي ! حتى ان الاب والعم والاجداد الذين لا يطلبون منا الا الدعاء فقط ، يهتزون  
في قبورهم عند سماع ذكرهم \* ويعلمون ان على وجه الارض من يتذكرهم بعد  
ويشعرون بمحصول دمة في عينهم الفارغة كما ان تلم المحراث يشعر بتفتح الزهرة

•

يا حمامتي لا ينبغي لي انا ان ادعي لجميع الهالكين \* ولا الاحياء المارقين من الدين \*  
ولا لجميع الذين ضمهم القبر \* والقبر اصل المعابد  
لا ينبغي لي انا الذي نفسه فانية ، مملوءة بالخطايا ، وفارغة من الايمان ، ان ادعي  
للجنس البشري \* لان صوتي يكاد لا يكفي ليستغفر الله عن ذنوبي  
كلاً بل لو امكن احد ان يدعي اليوم لهذه الارض الفاسدة لكان انت \* انت  
الذي صوتك يسبح \* ودعاؤك الطاهر يا ولدي يمكنه ان يتكلف بالآخرين \*

اسئلي هذا الاب العظيم الذي يبسم في أفنك لماذا الشجرة الكبيرة تخنق الشجرة الصغيرة الصغيرة ؟ ومن الذي يميل بالعقل البشري عن الحق الى الباطل  
اسئليه هل الحكمة لا تختص الا بالازلية ؟ لماذا نفخته تحطنا ؟ لماذا تحشر الانسانية في القبر بلا انقطاع ؟

الاولاد يسهرون في المسكان المقدس على الذين افنهم الائم • فهم ازهار يعطرونهم وهم بخور يفوح عليهم • وهم اصوات ترتفع الى الله  
فاتترك هذه الاصوات الغالية تفعل • ولترك الاطفال جاثين على الركب • ايها المذنبون كلنا ولنا ذنوب • كلنا على شفا جرف هار • فينبني للطفولية ان تدعو لنا

٦

الح •• الخ ••

وقصيدة الدعاء للجميع طويلة وهشمة على قواعد الانسانية والفلسفة الاجتماعية التي شرعها وأوضحها في كتاب البؤساء • لان النثر اوسع مجالاً من الشعر الذي يضيق عنه الكلام ولا يتيسر فيه الا الرمز للمسائل والاشارة اليها واللييب تكفيه الاشارة • وانما اوردنا منها ما ذكر لتعلم الاساليب الشعرية التي جرى عليها المؤلف في النظم على نهج الطريقة الرومانية وتظهر أفكاره في الموجودات • وكان نظمه لهذه القصيدة وهو في سن الشيخوخة أي في سنة ١٨٨٠ وهي معتبرة من ابلغ كلامه  
وعساه اتبع في هذا الدعاء الحديث الذي رواه مسلم عن أبي هريرة عن النبي عليه السلام

قيل — يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحبه ؟

قال — أمك ثم أمك ثم أبك ثم ادناك ثم ادناك •

ومما ورد في القرآن قوله تعالى « واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا »

وقال المعري في الزوميات :

واعط أبك النصف حياً وميتاً	وفضل عايه من كرامتها الاماً
أقلك خفاً اذا أقتلك منقلاً	وأرضعت الحولين واحتملت تماً
والقتك عن جهد والفتاك لذة	وضمت وشممت مثل ماضم اوشماً

والنصف هو النصفة والأنصاف • واقل بمعنى حمل • واحتملت تما أي آتمت أيام

حملها وولدت لتنام ولو تتبعنا كلام المعري أو ما ورد على شاكلته من الشعر العربي لوجدنا فيه أكثر المعاني الواردة في قصيدة الدعاء للجميع

٤ - اغاني الشفق

ويشتمل هذا الديوان على نحو خمسين قصيدة بديعة ابانها المنظومة التي عنوانها ( الى العمود ) وهو المكون في ميدان فاندوم بباريس . وكان نُصب على عهد الامبراطورية الاولى تذكراً لانتصارات نابوليون الاول على النامساويين والروسيين واغتنامه منهم الغنائم الكثيرة وفي جماتها ١٠٢٠٠ مدفع فبني العمود بالاحجار وصفح بنحاس المدافع المغتمة بعد ان نقش عليه صور المحاربات على الاسلوب المعروف عند الرومان وبقيّة الامم الفاتحة القديمة التي نصبت المسلات والاعمدة والاهرام وصوّرت الصور على جدران المعابد والقبور . وعدّد الشاعر في هذه المنظومة مظفريات نابوليون وماثره ومفاخره وقال بان يد قدرته شيدت هذا العمود بالمجد والنجاس . والقصيدة من أبلغ أشعار الحماسة وقد صدرت من أفصح شاعر في حق أعظم فاتح

ومن قصائد هذا الديوان المنظومة التي عنوانها ( نابوليون الثاني ) ومطلعها : الف وثمانمائة وأحدى عشرة . وهي السنة التي ولد فيها الممدوح . وهذا المطلع من اساليب الطريقة الرومانية وليس فيها عمل ولا تصنع كما في مطلع القصائد المنظومة على نهج الطريقة المدرسية . ونابوليون الثاني هو ابن نابوليون الاول وحفيد امبراطور النامسا ويسمى دوق ريشتاد وكانت نشأته في فيينا عنده . والف فيه شاعر العصر آدمون رويستان رواية بديعة سماها النسير ( ليكون ) تصغير نسر وتمثل في يومنا على المراسح وفي هذا الديوان أيضاً منظومتان عنوانهما ( قسارى ) وهو بطل اليونان المتقدم ذكره في ديوان الشرقيات . وكانت ولادته سنة ١٧٩٢ في جزيرة ابصاره المجاورة لجزيرة ساقر ووفاته سنة ١٨٧٧ . وكان رئيساً على مركب صغير وبعد استقلال اليونان صار رئيساً للاسطول وناظراً للبحرية ثم رئيساً للوزارة .

وفيه أيضاً قطعة عنوانها ( الرجاء بالله ) ومنها يعلم حسن اعتقاد الرجل وان كان من أهل الخيرة . وهي : ضع يا ولد أملك في الغد ، ثم في الغد أيضاً ، ثم في الغد دائماً . ولنعقده في المستقبل . ضع أملك وكما طلع الفجر لتكن هناك حاضرين لتستغفر كما ان الله حاضر ليتغفر . خطايانا يا حيبي وملكي هي المسبية لآلامنا . فلعلنا اذا اطلنا القعود على الركب يتغفر الله لنا بعد فراغه من الغفران لجميع المعصومين وجميع التائبين

## ٥ - الاصوات الداخلية

نقل المؤلف في مقدمة هذا الديوان عن شكسبير انه قال في بعض مؤلفاته بان كل انسان في داخله موسيقى فتباً لمن لا يسمعها . واورد في هذا الديوان اثنتين وثلاثين قصيدة غراء ومن ابغها قصيدة البقرة . صور فيها قرية بما حولها من الدجاج والكلاب . ينبح هؤلاء والناس نيام وتصرخ اولئك عند طلوع الفجر . فالديوك حراس النهار والكلاب حراس الليل . وفي تلك القرية بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين وقفت بكل هيبه ووقار لا تعبا بالذين حولها . وجاء صبية بشعور مغبرة واطار بالية واسنان حادة وصحة تامة وهم في صراخ وجلبة يزاحم بعضهم بعضاً وينادي كل فريق منهم رفاقه . واغتموا فرصة غيباب اللبان وانقضوا على البقرة يعصرون ثديها باصابعهم ويلتهمون حلماتها الكثيرة بافواههم ويمتصون حليبها وهم متكئون حول احشائها وهي غير مكترثة بما يفعلون وشاخصة يبصرها تنظر الى بعض النقاط التي حولها

فمثل هذه البقرة كمثل الدنيا ام المخلوقات والمجاوئيم الوحيد يلتقطون العشب واللبن من تحت احشائها الابدية . قال المؤلف فنحن معشر العلماء والشعراء تملقنا بثديك المتين ايتها الطبيعة وارثونا مما ادره علينا فكان لبنك دماً وروحاً لنا . واستفدنا من نورك وحرارتك واوراق شجرك ومن جميع ما عليك من الجبال الراسية والانهار الجارية والمروج الخضراء والسماء الزرقاء وانت تفكرين بربك ولا تنزعجين منا

فبقرة فيكتور هوغو اشبه بام دفر المعري حيث قال :

دنياك تكني بام دفر لم يكنها الناس ام طيب

والدفر هو التمن والتعفن ولا تخفي مناسبتة في تكوين الحيوان والنبات . ولكن بقرة

فيكتور هوغو تدرّ على ابناءها بلبن سائغ للشاربين . والمعري

يخلف ما جادت الليالي الا بسم لنا قطيب

والقطيب الممزوج

## ٦ - الاشعة والظلال

افتتح هذا الديوان بمقالة ادبية ثرية قال فيها :

كتب شاعر عن جنة عدن الضائعة وكتب شاعر آخر عن النار . فالدنيا بين الجنة والنار . والحياة بين البداية والنهاية . والانسان بين اول انسان وآخر انسان . فالانسان موجود باعتبارين احدهما بالنظر للجمعية والثاني بالنظر للطبيعة . ووضع الله الشهوة في

الانسان . ووضعت الجمعية فيه العمل . ووضعت الطبيعة فيه الخيال فمن الشهوة الممزوجة بالعمل اي من الحياة في الحاضر ومن التاريخ في الماضي تولد « الدرام »<sup>(١)</sup> ومن الشهوة الممزوجة بالخيال تولد الشعر بمعناه الاصلي . فاذا نزل توصيف الماضي الى التفصيلات العلمية ، واذا نزل توصيف الحياة الى التشريحات الدقيقة صار الدرام روماناً . فالرومان ما هو الا درام مفصل تارة بالفكر وتارة بالقلب تفصيلاً لا يليق بالتمثيل على المراسح . وغدا هذا فالشعر فيه درام . والدرام فيه شعر . فالدرام والشعر ينفذ كل منهما في الآخر كما تنفذ الحواس في الانسان او كما ينفذ النور في الاجسام . والعمل فيه احياناً خيال . مثال ذلك ما قاله السيد في الرواية التي الفها قورنيل : « هذا النور المظلم الذي يهبط من النجوم »

لا احد في هذا الكون يتخلص من السماء الزرقاء والشجر الاخضر والليل المظلم والرياح العاصفة والطيور المغردة . وليس من مخلوق يقدر على التجرد من الخليفة — على حد قول المعري : اأخرج من تحت هذي السماء فكيف الاباق واين المفر . — ومن جهة اخرى خيال فيه احياناً عمل . . . . . لان الواحد يتمم الآخر والشئ يكمل بعضه البعض . فالجمعية تقوم في الطبيعة والطبيعة تطرف الجمعية

فالشاعر تنظر احدى عينيه للانسانية والاخرى للطبيعية . والعين الاولى تسمى الملاحظة والاخرى تسمى التصور . فمن هاتين العينين الشاخصتين في موضوعها يتولد في مخ الشاعر الهام يقال له القريجة . . . . . الخ

ثم افتتح المؤلف هذا الديوان بقصيدة عنوانها ( وظيفة الشاعر ) . وكان تكلم على هذه الوظيفة في مقدمة الديوان الاول وقال ينبغي للشاعر ان يكون للامة نوراً يسعى بين يديها . ويربها طريق الصواب . ويقودها الى المبادئ الحسنة . وهي الانتظام والشرف ومكارم الاخلاق . ولتكون سلطة الشاعر هيمنة على الامة يلزم ان يهتز بين اصابعه جميع الياف القلب الانساني كما تهتز اوتار العود . ويلزم ان لا يكون كلام الشاعر صدى لكلام احد سوى كلام الله تعالى . وينبغي للشاعر ان يذكر الامة بان لها ديناً ولها وطناً وهذا ما اغفل ذكره المتقدمون وان ينشر دائماً باشعاره ما يكون لبلاده من الاقبال والادبار وما في دينه من الزهد والاستغراق في الحب حتى ينال المتقدمون عليه والمعاصرون له شيئاً

(١) مؤلف اللجنة الضائعة هو الشاعر الانكليزي ميلتون . ومؤلف النار اي الكوميديا

المتقدمة هو الطلياني دانتي . انظر مقدمة روى بلاش في تعريف الدرام

من قريحته ومن روحه وحتى لا يقول عنه من يأتي بعده في المستقبل بأنه كان ينشد اشعاره بين قوم جاهلين

وبين فيكتور هوغو في القصيدة التي عنوانها وظيفة الشاعر افكاره وشرحها احسن شرح وشبه الطبيعة بعود كبير وشبه الشاعر بريشة الهية يضرب بها على اوتار هذا العود . فالشاعر يُنمُّ الشعر وهو يسبح بين غياض الاشجار وعلى سواحل البحار ويسمع هدير الماء وتلاعب النسيم بالاوراق . وقال في آخر القصيدة الرابعة : انشرايها الشاعر نشيدك الديني بين العائلات وبين الصبيان والبنات وبين الشيوخ . وأردت باصبعك الساحل للذين سارت بهم السفن في لُح البحر والارياح متغيرة<sup>(١)</sup> . وأردت للعداى العصمة وهي كوكب السعد والشرف . وارد للجمهور المحراب الذي غطاه الكفر . وارد للشبان المستقبل وللشيوخ الخلود . وصب دايلك في عقول الرجال والنساء . وارد لكل منهم الصحيح من الجهة المقنعة حتى يجد عندك كل مفكر ما يفتش عليه . أغرس محبة الله في القلوب والحق في كل نفس كلمة الهية من جنس ما تشعر به . . . . . الخ

وهذا ما اشار اليه المعري في مقدمة لزومياته حيث قال : انشأت ابنية اوراق توخيت فيها صدق الكلمة ونزهتها عن الكذب فمنها ما هو تمجيد لله وبعضها تذكير للناسين وتنبية للرقدة الغافلين وتحذير من الدنيا الكبرى التي عبثت بالاول واستجبت فيها دعوة جرول اذ قال لامه

جزاك الله شرًا من عجز  
ولفك العقوق من البنينا

فهي لا تسمح لهم بالحقوق وهم بها كرونها بالعقوق . . الخ

فهذه صفة الشاعر الذي ينبغي الاقتداء به والنسج على منواله . لا الشعراء الذين يتبعهم الغاوون وفي كل وادٍ يهيمنون ويقولون ما لا يفعلون حتى صار لهم الكذب خلقًا والتلقى للامراء سجية استجداء لمعروفهم وطلبًا لاحسانهم

وأرق ما في هذا الديوان المنظومة التي عنوانها حزن اوليميو كنى بهذا الاسم عن نفسه وقايس فيها بين جلال الطبيعة وجمالها وبين قلة حظ الانسان وقصر ايام سعادته وليالي انسه وانقضاء شهوره وفناء لداته . اذ كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام . قال فيكتور هوغو في آخر هذه القصيدة : يُقرضنا الله المروج النضرة والعيون الجارية والاشجار الملتفة والصخور الوعرة والسماوات الزرق والبحيرات والغدران والسهول لنضع

فيها قلوبنا وامانينا واشواقنا . وهذا القرضُ لاجل مسمى . ثم يسترد جميع ذلك منا ويطفيء  
سراجنا وينعس في الليل المغارة التي كنا مستنيرين ونحن فيها . ويقول للوادي الذي  
انطبعت عليه روحنا ان يحى اثرنا وينسى ذكرنا . فلا حيلة . انسينا ايها الدار والبستان  
والظل والخضرة . وابلي باعتابنا . واخف باشوك اثر اقدامنا وغردي باطيور واجري  
يا انهار وانمي يا اوراق . فان الذين نستقوهم لا ينسوكم ابداً . . . . . الخ . وهي

طويلة مخزنة . وفي هذا المعنى او ما يقاربه قصيدة المعري التي يقول فيها

للمليك المذكرات عبيد      وكذلك المواتات اماء  
فالهلل المنيف والبدر والفر      قد والصبح والثرى والماء  
والثريا والشمس والنار والنثر      ة<sup>(١)</sup> والارض والضحى والسماء  
هذه كلها لربك ما عا      بك في قول ذلك الحكماء  
خلي يا اخي استغفر الله      فلم يبق في الا الازماء  
ويقال الكرام قولاً وما في العه      من الا الشخوص والاسماء  
واحاديث خبرتها غواة      وافترتها للمكسب القدماء

وهي طويلة مدروجة في الازوميات وكما حكم . ونفس المعري ونفس فيكتور هوكو  
يتقاربان ولكن الاول اعمى والثاني بصير يرى بهجة الطبيعة وزينتها فيظهر وصفها في  
شعره . ويزيد فيكتور هوكو على المعري بانه من اهل عصر جديد بزغت في افقه شمس  
الحرية والمدنية واتسع فيه نطاق العلوم وافانين الصناعات فارتفعت مدارك الشاعر

ويشبهون قصيدة (حزن اوليميو)<sup>(٢)</sup> بقصيدة البجيرة التي نظمه الشاعر الشهير لامارتين  
وترجمها للسان العثماني سعد الله باشا سفير الدولة العلية في وبانه وباريس سابقاً . ورأيت  
في كتاب فرنساوي نُشر حديثاً بان احمد بك شوقي شاعر الحضرة الخديوية ترجم قصيدة  
لامارتين المذكورة للعربية . ومؤلف هذا الكتاب الفرنسي فرديناند دي مرتينو وحبد  
الخالق بك ثروت وعنوانه منتخبات من غزل العرب ترجم فيه من كلام الجاهلية واهل  
الطبقة الاسلامية ومن اقوال المعاصرين ايضاً مثل حسن حسني ومحمود باشا سامي البارودي  
واسماعيل باشا صبري وحفني بك ناصيف

\*\*\*

(١) والثرة نجمتان صغيرتان يقال لهما انف الاسد

(٢) اوليميو اسم لامعنى له ولا هو من الاسماء التاريخية وانما كنى به الشاعر عن نفسه

هذا ما نظمه فيكتور هوكو من الشعر الموسيقي في الدور الاول من حياته . واما ما نظمه في الدور الثاني اي في منفاه فهو اعلى طبقة واحسن ديباجة واشد تأثيراً واهاجة واكثر توقداً وتوهجاً لان قريحته نضجت في شمس الغربية وهو معتزل عن الناس بتلك الجزيرة . واستبحر فكره بمجاورته المحيط الغربي لان للحوار حقاً . فنظم احسن مؤلفاته وهي ديوان القصاص وديوان التأملات وديوان سير الدهور . فاباغ هجاء لفيكتور هوكو ما هجا به نابوليون الثالث في ديوان القصاص واجمع رثاء له مارثي به بنته في ديوان التأملات . واحسن شعر حماسي له ما ورد في ديوان سير الدهور كما قرره العارفون بكلامه

٧ - القصاص

الف فيكتور هوكو ديوان القصاص بعد انقلاب الجمهورية الثانية الى الحكومة الامبراطورية وذلك ان البرنس لويس نابوليون بوناپارت بن لويس بوناپارت الذي كان ملكاً على هولاندا واخ نابوليون الاول انتخب رئيساً للجمهورية لاربع سنوات ختامها سنة ١٨٥٢ فخلف امام مجلس نواب الامة وبمضور فيكتور هوكو الذي كان عضواً فيه على ان لا يبدل القوانين الموضوعه ولا يخالف احكام القانون الاساسي ولا يخون عهد الجمهورية . ثم صارت الاكثرية في المجلس لحزب الاورليانيين وارادوا تولية كونت باريس وهو شاب من العائلة الملوكية في فرنسا . وكان يعارضهم حزب الوارثين الذين يقولون بان حق الوراثة في الملك انما هي لكونت شامبور فهو الذي ينبغي توليته على سرير الملك الفرنسي . فاغتم رئيس الجمهورية هذه الفرصة وكان حق الوراثة في الامبراطورية التي اسسها نابوليون الاول منتقلاً اليه لوفاة نابوليون الثاني عند اهل امه في فيينا وهو الملقب ليكون اي النسيير ودوق ريشتاد . وكان لنابوليون الاول شهرة عظيمة واعتبار زائد في نظر افراد الامة فاخذ رجال المعية وحاشية القصر يشوقون ابن اخيه على الاستبداد بالامر كما يفعل المقربون من اولي الامر في كل جيل وفي كل امة وكما فعلت بطانة هارون الرشيد ودسوا للمغنيين الشعر المهيج واحتلوا على سماعه للخليفة تجريباً له على البرامكة ومن هذا الشعر قولهم

ليت هنداً انجزتنا ماتعد وشفقت انفسنا مما تجهد

واستبدت مرة واحدة انما العاجز من لا يستبد

فلما سمعها الرشيد قال اي والله اني عاجز حتى بعثوا اليّ بامثال هذا . وهكذا كانت بطانة البرنس بوناپارت رئيس الجمهورية يغرونه على الاستبداد ونكت العهد وقلب الحكومة .

ففي ٢ ديسمبر سنة ١٨٥١ اي قبل حلول الاجل المضروب لانتهاك رئاسته نكث الايمان الذي حلفها وغير القانون الاساسي الذي تعهد برعايته احكامه وعدم تغيير مضمونه وبدله بقانون اساسي آخر يخوله حق البقاء في رئاسة الجمهورية عشر سنين . ثم ابدله ايضاً بقانون اساسي ثالث اعلن به الحكومة الامبراطورية بدل الحكومة الجمهورية . وصدقت الامة على هذين القانونين وكان عدد اصوات المصدقين يزيد على ٧ ملايين صوت . فاعلن لويس نابوليون امبراطوراً على فرانس وتلقب بنابوليون الثالث . وشرع في اضطهاد المخالفين لسياسته وتعذيبهم . ففرّ فيكتور هوغو من بطشه وبعث يقول له بما معناه

وحلفت انك لا تميل مع الهوى اين اليمين واين ما عاهدتني

فاجاب لسان الحال عن نابوليون الثالث

والظلم من شيم النفوس فان تجرد ذا عفة فلعله لا يظلم

وخرج مشير القصر الامبراطوري يجول بالعساكر في شوارع باريس ويقول بما معناه

ان المعالي عروس غير وامقة مالم تخلق ردايها برشح دم

وكان اول هذا الملك من رجل سعى الى ان يدعو سيد الامم

فهذا الرجل هو نابوليون الاول الذي لا يختلف في شجاعته ومهارته اثنان ولكن

عساكر الامبراطورية الثانية لم تظهر البسالة على قول فيكتور هوغو الا في طرق باريس

وميادينها بقتل احرار الرجال بل والنساء والاطفال ونفيهم من الارض وتغريبهم على

الجواري المنشآت في البحر . ولما انتشبت الحرب بينهم وبين جيرانهم ولوا مدبرين ولذا كان

يقول لهم الشاعر متهمكاً « اسد عليّ وفي الحروب نعامة » . على انا نحن معشر العثمانيين

لا ننكر بسالة عساكر الامبراطورية ولا شجاعة ماقمبون حينما صعد على قلعة مالاكوف في

مدينة سباستابول من شبه جزيرة القرم فقبل له بان الروس وضعت تحت البرج باروداً

لتطيره فاجاب ( انا هنا واقعد هنا ) فذهبت مثلاً وكان ذلك في الحرب التي حدثت بين

الدولة العلية والروسيا سنة ١٨٥٥ وكانت فرانس وانكلترة متفقين مع العثمانيين

يشتمل ديوان القصاص على نحو مائة منظومة تفجرت منها سهام السخط والغضب

وتساقطت كالرجوم والشهب على نابوليون الثالث وعلى اشياعه واحزابه ولم يدع منهم احداً

الا وعرض به ورماه بنبال هجومه فندد باعضاء ( مجلس المبعوثان )<sup>(١)</sup> و ( مجلس الاعيان )

(١) مجلس المبعوثان هو مجلس نواب الامة والالف والنون ليست للتشنية وانما هي

اداة جمع بالفارسية

لتصدقهم على لأئحة القانون الاساسي للحكومة الامبراطورية . وبالذين تذبوا هذا القانون من الوزراء وامراء العسكرية وسائر رجال الدولة والمعية . وبالذين تملقوا لرجال القصر الامبراطوري وقبلوا اعتنائهم جرماً لمغرم او دفعاً لمغرم . وبالحكام الذين راعوا خواطرهم في الاحكام وحكموا على احرار الرجال بل والنساء بالحبس والنفي والاعدام . وبالاقسة والرهبان الذين دعوا في كنائسهم بتأييد عز الدولة الامبراطورية . وساق الجميع بالسنة حداد . وكلما ذكر سيئة او رذيلة لنابوليون الثالث قارنها بجسنة او فضيلة من حسنات نابوليون الاول وفضائله ولذا لقب الاول بالكبير والثالث بالصغير فورد في اشعاره كثير مما يسميه ادباؤنا في فن البديع بالطباق وهو الجمع بين متضادين سيما في الهجوية التي عنوانها الاستغفار او تكفير السيئات فانه جعلها فيه على طرفي نقيض . فهاجى ديوان القصاص تذلها اشعار المدح والحماسة . وفي هذا الديوان ايضاً ( رثاء في الذين قتلوا في حادثة ٤ ديسمبر ) وتهانين الذين اخرجوا من ديارهم ونقوا بعبيد عنها وانشيد ( الذين سفروا على البحر ووصف حالة اولئك المصابين والمحكومين والمنفيين وحنينهم الى اوطانهم وشوقهم لمن تركوه فيها من الارامل والايتام ومن الاخوات البنات والاباء والامهات اللواتي يبكين عليهم بكاء الخنساء على اخيها مما تنظر له القلوب وتنتنت الاكباد لاسيما من قرأ شعره وهو يتألم ببلدعة الاستبداد

فما ورد في هذا الديوان من بدائع المعاني القصيدة الثالثة من الفصل الثاني وعنوانها ( تذكار ليلة ٤ ) وهي الليلة الثانية من جلوس نابوليون على تخت الامبراطورية . نظمها الشاعر ليلة عيد الجلوس سنة ١٨٥٢ وصور فيها ما شاهده في تلك الليلة وجسم الحادثة بكيفية بديعة ومضمونها ان صبياً يتيماً حسن الصورة حسن الاخلاق كان يلعب مع الصبيان امام دارهم فاصابته رصاصتان من بندق عسكر الامبراطورية وهم يتجولون في شوارع باريس لارهاب الناس وتسكينهم . ولم يكن لهذا الصبي المقتول الا جد وجدة طاعنان في السن ليس لهما وارث سواه . فادخلته جدته الدار والدم يسيل من جراحاته ومات بين يديها فاخذت تنوح وتلطم وتقول واسواتاه ! واحسرتاه ! كيف اعيش بعدك يا ولدي ومهجة كبدي . لم تخلف لي امك سواك . افهموني انتم يا حاضرون لماذا قتلوه ؟ اريد ان تعرفوني السبب . الصبي لم يصرخ لتحي الجمهورية

قال الشاعر اما نحن فكنا واقفين صامتين مدهوشين وفرائضنا ترتعد امام هذا المأتم الذي لا عزاء له . . . . الى ان قال لها مخاطباً

ايتها الجدة انك لا تفهمين السياسة ابداً . الموسيو نابوليون — وهذا اسمه الصحيح — فقير بل وامير ايضاً ( برنس ) . يجب القصور ويقتضي ان يكون له خيل وخدم ونقود للعب القمار ولسفرة الطعام ولخزائن الملابس وللخروج للصيد . وبهذه الوسيلة يخلص العائلة والكنيسة والجمعية . ويريد ان يكون قصر سن كلو مملوءاً بالورد طول الصيف لتأتي اليه ولاية البلاد واعيانها ويسجدوا له . فهذا هو السبب الذي اوجب الجذات العجائز ان ان يخطن باصابعهن المرتجفة من الهرم اكفان صبيان لم يتجاوزوا من العمر سبع سنين والقصيدة السادسة من الفصل الثالث عنوانها ( الشرقية ) قال فيها

لما رأى عبد القادر وهو في سجنه قد دخل عليه ذاك الرجل الضيق العينان الذي يسميه التاريخ نابوليون الثالث قال مزدرياً من يكون هذا الرجل ؟ رأى وهو في نافذته رجل قصر الايلزة الاحول يمشي وخالفه قطع كالغنم في خدمته . اما هو فكان اسد الصحراء والسلطان الذي ولد تحت اشجار النخيل وصاحب السباع الكاسره . فهو الحاج النافر وعيناه هاديتان . والامير المفكر الشديد الرحيم . وهو رجل عابس متشائم وشبح اصفر في برنس ابيض . وثب وهو خمران بمداومة الحرب ثم وقع في الظل على الركب . وهو الذي يصلي على قارعة الطريق ويجلس في الجباء المرفوع الاطناب ويرى النجوم يديه المصبوغتين بدم الانسان وهو ساكن الجأش . وهو الذي يسقي السيوف ويجلس على الرؤوس المقطوعة مفكراً في بديع خالق السموات . فلما رأى لحظ هذا الرجل الحائن الخنثى وجهته المظلمة من الخجل احجم عنه هو العسكري الجميل والشيخ المهيب الجليل ونفر من شاربي ذلك الشنيع <sup>(١)</sup>

فقيل له انظر ايها الامير بلطاة العساكر وهي مارة فهذا الرجل هو قيصر الحرامي . اسمع هذه الشكايات المرة وهذا الصراخ المتعال . فهذا الرجل الذي لعنته الامهات ولعنته الزوجات . لانه رملهن وكسر قلوبهن . واخذ فرانساً وقتلها وهو الآن يبلغ في دمها . فيئذ سلم عليه الحاج عبد القادر . ولكنه في الباطن احتقر هذا الذي الدموي . فهذا النمر الاشم الانف شم ذاك الذئب وهو مستخف به . اه

نظم فيكتور هوغو هذه الهجوية وهو في جزيرة جرسى في نوفمبر سنة ١٨٥٣ وكان الامبراطور نابوليون بعد جلوسه يذهب للاصطياف في مدينة بو التي هي من اجمل المدن

(١) وكان نابوليون الثالث ذا شاربين افقيين مستطيلين بخلاف امبراطور النمسا

الحالي كيليوم الثاني

الفرنساوية على حدود جبال اليرينه وفي مدينة بياريس التي على ساحل المحيط الغربي بالقرب من الحدود الاسبانية فزار في احدى سفراته الامير عبد القادر الجزائري ولطفه واطلاق سراحه

فان هذا الامير الخطير بعد ان ثبت امام الفرنسيين ١٥ سنة واطهر من البسالة والدراية في الحرب ما لامزيد عليه اضطر سنة ١٢٦٤ على تسليم نفسه فسيره الدوق دومال والي الجزائر في ذلك الحين الى فرانسوا • فانزل في قصر لا مانغ من مدينة طولون • ثم نقل منه الى قصر مدينة بو ويسمى قصر هنري الرابع وهو من احسن القصور بناءً وزينة ولم يزل السائح يشاهد فيه الدائرة التي سكنها الامير عبد القادر سنة ١٨٤٨ م ثم نقل منه الى قصر امبواز وهو بالقرب من مدينة تور التي انتهت اليها فتوحات العرب في اوائل القرن الثاني من الهجرة • وفي سنة ١٢٦٩ هـ حضر الامير عبد القادر للاستانة ونال التفات السلطان عبد المجيد وذهب يقيم في مدينة بروسه ولما حصلت فيها الزلازل ارتحل عنها الى دمشق سنة ١٢٧٢ هـ وتوفي سنة ١٣٠٠ هـ في قصره الذي بقرية دامر فنقل نعشه الى الصالحية ودفن بتربة محيي الدين بن العربي رحمهم الله جميعاً • والامير عبد القادر هو رب السيف والقلم وله تاليف معتبرة مطبوعة وترجم احداها للفرنساوية الموسيو دوغا • وكان الامير عضواً فخرياً في الجمعية العلمية الفرنسية

ومما في هذا الديوان من الاهداجي والمناجات البليغة المنظومة الثالثة من الفصل السادس وعنوانها ( دعاء المغربين ) وفيها توسلات الالهية ومخاطبات لحمام الوادي ونسيم الصبا كانها مترجمة عن العربية قال فيها :

يا الله يا كبير اليك ترتفع اكفنا ونحوك تشخص ابصارنا • اللهم ان هؤلاء المكبلين بالحديد وعبراتهم تسيل على الحدود لهم اشد الممتحنين بلاءً مع انهم اصلح الناس حالاً • ايها الطيور المارة ان هناك منازلنا • ايها الرياح الجارية ان هناك اخواتنا وامهاتنا يبكين ليلاً نهاراً • بلغيهم يا طير بؤسنا • واحمل اليهم يا نسيم الصبا اشواقنا • وانت يا الله نرسل اليك فيكرنا • ونسئلك ان تنسى هؤلاء المحكوم عليهم بالقتل ظلاماً ولكن ان تجعل مجدهم لفرانسوا المهانة وان تتركنا نحن المظلومين نموت في هذا العذاب الاليم • الخ • وهذا يذكرنا بقول ابن المعتز حينما اخذ ليقتل

يا نفس صبراً لعل الخير عقباك      خانتك من بعد طول الامن دنياك  
مرت بنا سحراً طير فقلت لها      طوباك يا ليتني اياك طوباك

ان كان قصدك شوقاً بالسلام على شاطي الفرات ابغني ان كان مثواك  
من موثق بالمايا لا فكاك له يبكي الدماء على الف له باكي  
ولا أدري ان كان لها بقية ام لا ولكن الغالب في الشعر العربي ان يعلو به النفس ثم ينقطع  
قبل ان يشفى غليل النفس بذكر الوسط الذي يقوم فيه الشاعر وشرحه وتوصيفه بجميع  
ما فيه كما يفعل شعراء الافرنج . نعم ان شعراء الجاهلية ومن نسج على منوالهم شرحوا  
اوصاف الفرس أو الناقة مثلاً واطنبوا في ذلك ولم يتركوا عضواً ولا حركة ولا هيئة الا  
ذكروها وتخلوا فيها ولكنهم مع ذلك حصروا نظرهم في نقطة واحدة ولم يلتفتوا يميناً  
وشمالاً الى ما حولهم من مناظر الطبيعة وبدائع المخلوقات

وابن المعتز اشعر بني هاشم وهو ابن الخليفة العباسي المعتز بالله بن المتوكل ويسمى  
خليفة يوم لانه ولي الخلافة يوماً واحداً ثم خاتته الايام وغدرت به السياسة فسلم لمؤنس  
الخدام فقتله . وتشبهت ابن المعتز واشعاره مشهورة ومن مؤلفاته كتاب الزهر والرياح  
كتاب البديع ، كتاب مكاتبات الاخوان بالشعر ، كتاب الجوارح والعين ، كتاب  
السراقات ، كتاب اشعار الملوك ، كتاب الآداب ، كتاب حلي الاخبار ، طبقات الشعراء  
كتاب الجامع في الغناء ، ارجوزة ذم الصبوح . ومن قوله

سقى الحظيرة ذات الفل والشجر ودير عبدون هطال من المطر  
فطالما نهيتني للصبوح بها في غرة الفجر والعصفور لم يطر  
ومن كلامه البديع قوله : انفاس الحي خطاه الى اجله . وكان مستجمعاً للكلمات  
الانسانية وقيل في رثاه

ما فيه لولا ولا ليت فتمتقصه وانما ادركته حرفة الادب

قرأ على المبرد وعلب وتاريخ ولادته ( ٢٤٧ - ٢٩٦ هـ )

والفصل السابع من هذا الديوان هجوية عنوانها ( هاتين قدوركن يا ساحرات  
شكسبير ) اشارة الى رواية ماقت التي ألفها شكسبير وما فيها من خبر الساحرات اللواتي  
يطبخن السحر في القدور ويفتحن للنساء الفال فقال فيكتور هوكو هاتين قدوركن  
يا ساحرات شكسبير . وخذن عني يا ساحرات ماقت كل الامبراطورية من قديمة  
وحديثة . وضعن في كانون واحد برجه السمين والكونت فروشو وفلان وفلان . . . .  
وعدداً كثيراً من رجال نابوليون الى ان قال واحنين رؤوسكن وانفشن شعوركن  
وحلقن عيونكن واكشفن محوركن وانفخن بلاء رأتكن على النار التي تحت القرعة

وانظرن فان الصغير يخرج من الكبير وصيرن باروش وطالبران بخارا وكذا ابن الاخ الذي يهبط بينما ان العم يعلو . فما الذي بقي في قعر الانيق ؟ العار فكان فيكتور هوكو وهو في جزيرة جرسى كلما سمع بنفي المتهمين بالسياسة لبلاد الجزائر او لاميركا يفور غضبه ويشتد غيظه ويهدر كهدير البحر . وشبه السفن التي تحمل المنفيين باليوم التي تنادي على خراب البلاد بابعاد نجبة الشبان الاحرار منها . ولكنه مع ذلك لم ينقطع رجاءه ولا خابت امانيه بل كلما نظر في المستقبل لاح له قبس الفلاح ولمع في عينيه نور الصباح وراقت اشعاره وصفا كلامه ولذا شهوه بالبحر الذي يهيج تارة ويسكن أخرى . وله في البحر تشابيه واستعارات لم يسبق اليها . وقال في خاتمة هذا الديوان بأنه سوف ينباج صبح العدل ويزهق ليل الباطل ان الباطل كان زهوقاً وانذر باستيقاظ الامة من رقدة الغفلة ومجازاتها الظالمين المستبدين المجرمين . ان المجرمين في ضلال وسعر . ان الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقاً . ولو اطاع السيد عبد الله نديم على ديوان القصاص لما حرر كتاب المسامير

## ٨ . — ديوان التأمّلات

وعرف هذا الديوان بتسميته أيضاً سانحات الفكر ولخص فيه أعمال ربيع قرن من حياته وما شعر به من فرح وترح وقال في مقدمته بأنه تاريخ حظ من الحظوظ البشرية في شقائه وسعادته أو هو ديوان الحياة الانسانية منذ خرجت من معمي المهدي الى ان نزلت في معمي الالحد . وأبواب هذا الكتاب هي : الفجر ، النفس الزاهرة ، التنازع والاماني ، في المسير ، على ساحل اللامتناهي . ومنها يفهم فكر الشاعر في ترتيب المنازل التي يقطعها المسافر في طريق الحياة . وأجاد في وصف المناظر الطبيعية وتصوير وجوه الارض على حد قول أبي تمام

يا صاحبيّ تقصياً نظريكما تريا وجوه الارض كيف تصور

ترياً نهاراً مشمساً قد زانه زهر الربا فكانما هو مقمر

ومن ذلك أيضاً قول القاضي عياض وقد تولى قضاء سبته وغرناطه

انظر الى الزرع وخاماته تحيي وقد ماست أمام الرياح

كتيبة خضراء مهزومة شقائق النعمان فيها جراح

وأبدع ما في هذا الديوان الرثاء الذي رثى بنته حينما انشبت فيها المنية اظفارها وهي

في ريمان الشباب وأشهر العرس وأتى بالبدايع والعجائب في وصف قلب الوالد علي ولده وما يكابده بسبب موته من آلام الحياة وعذابها . ولله تابع في النظم شعوره واحساسه فجعل أول المرآتي تفجماً وبكاءً . ثم ارتفع صوته بالتحبيب والمويل . ثم زاد ألم الرزية عليه وكبرت المصيبة في عينه فصار يهدر كما يهدر الجنون ولا يهي ما يقول فطوراً يقاتل القضاء وتارة يامن القدر وانقطع من الدنيا وزال رجأؤه بالأخرة ويئس من هذه الحياة الفانية

ثم برد قلبه شيئاً فشيئاً وهدأ باله رويداً رويداً فصار يندب ميتته ويعدد محاسنها ويتذكر زمان طفوليتها وشبابها وعرسها وكل ذاكرة منه تسيل من عينيه عبره وتودع في قلبه حسره . ولم ير له ملجأً الا في تسليم الامر لله والرضاء بما قدره وقضاه فصبر على البلاء وزجع بانكسار وتزلزل الى الله وانكب على اعتاب مراحه كأنه عمل بنصيحة الشيخ محمد عليش حيث قال

الزم باب ربك واترك كل دون واسئله السلامه من دار القتون  
لا يضيق صدرك فالخادث يهون الله المقدر والعالم شوون  
لا تكثر همك ما قدر يكون

نحن والخلائق كلنا عبيد والاله فينا يفعل ما يريد  
همك واغتمامك ويحك لا يفيد القضا تحكم فالزم السكون  
لا تكثر همك ما قدر يكون

ومنها ايضاً : مولاك المهيم انه يراك فوض له امورك واحسن في الظنون  
ومنها الرضا فريضه والسخط حرام والقنوع راحه والطمع جنون  
واجفع رثاء واحسن توسل لفيكتور هوكو ما جاء في المراثية التي عنوانها ( الى فيماكيه )  
وهي المدينة التي غرقت بقربها ليوبولدين وهي ننزه مع زوجها في زورق علي نهر السين  
وقد اتينا على ترجمتها بالحرف بياناً لاسلوبه في التفجع والرثاء . قال فيكتور هوكو وكان  
خرج من باريس وذهب الى جبال البيرينه وسواحل المحيط الغربي :  
الى فيماكيه

الآن باريس وطرقها وجدرانها وضبابها وسطوحها بعيدة عن عيني . الآن انا تحت  
غصون الايك واستطيع التفكير في حسن السموات . الآن خرجت مصفراً من المآثم الذي  
اغلقت منه روحي وشعرت بان سلام الطبيعة الكبرى دخل قلبي

الآن استطعت ان اجلس على شاطئ البحر متأثراً من هذا الافق اللطيف المادي  
وان اخلص في ضميري عن الحقائق الغامضة وان انظر الى الازهار وهي في الحدائق  
الآن ياربي ، حصلت لي سكينه مخزنة استطيع بسببها ان ارى بعيني رأسي الحجر  
الذي أعرف انها نامت في الظل تحته نومةً ابدية  
الآن قدرت عواظني بهذه المناظر الالهية ما بين سهول و غابات وصخور واودية  
ونهر كالفضة

ولما رأيت عجزتي ورأيت هجراتك رجعت لي عقلي امام جلالك فجئت اليك يا الله  
يا من يحب علينا الايمان به . واحضرت لك قطع هذا القلب الذي كسرته وهو مملوء بجمدك  
جئت اليك يا الله ، معترف بانك رؤوف رحيم حلیم وبانك اله حي . وأقر بانك  
وحدك تعلم ما تصنعه وبان الانسان ما هو الا ريشة في مهب الريح  
اقول بان القبر الذي ينغلق على الاموات يفتح الفلك الاعلى . وان ما نحسبه في هذه  
الدنيا نهاية هو البداية

أقر ايها الاله العظيم وانا راكع بانك وحدك مالك لما هو حقيقي ، مطلق ، لانهاية  
له . أقر بان انجراح قلبي هو خير وهو عدل . لان الله اراد ذلك  
لا أعترض اصلاً على جميع ما اصابني بارادتك . فالنفس تندرج في الابدية من  
ما تم لنا تم والانسان يتدحرج من ساحل لساحل  
لا نرى من الاشياء الا طرفاً واحداً والطرف الآخر غاطس في سرليل مرعب .  
فالانسان يتحمل الاذى بدون ان يطالع على الاسباب . وجميع ما يراه قصير ، زائل ،  
لا فائدة فيه

انت تلقي الانسان دائماً في طريق الشك ولم ترد ان يكون له على هذه الارض يقين  
ولا سرور

لا يملك الانسان خيراً الا ويستردّه القدر منه فهو لم يعط شيئاً في ايامه السريعة  
الزوال ليتمكن ان يتخذ له مسكناً ويقول : هنا بيتي وارضى واحبائي . جميع ما تراه  
عيناها ينبغي ان يراه في مدة قليلة . ثم يهرم وتخور قواه . فما دامت هذه الاشياء واقعة  
وانا أقر بانها حدثت كما يلزم ان تحدث<sup>(١)</sup> . يا الله ! العالم مظلم . والحانه التي لا تتغير  
مؤلفة من البكاء ومن الغناء ايضاً . والانسان ما هو الا ذرة في هذا الظلام الغير المنتهي .

(١) ليس في الامكان ابداع مما كان . لو اطلعتم لقلتم الخيرة في الواقع

فهذا ليلٌ يصعد فيه الابرار ويهبط الاشرار . اعرفُ بان لك يا الله اشياءَ اخرى كثيرة  
تشتغل بها عوضاً عن ان تشفق علينا جميعاً وبأن الولد الذي يموت ويخلفُ الحزن لأمه  
لا يضرك منه شيءٌ

اعرفُ بان الثمر يسقط من الريح الذي يهزه وبان الطير يفقد ريشه والزهر يفقد رائحته  
وبأن الخليقة دولاب كبير لا يمكنه ان يدور بدون ان يستحق احداً  
الشهور ، والايام ، وامواج البحر ، والعيون الدارفة بالبكاء ، تمر جميعها تحت السماء  
الازرق اعرفُ ياربي انه يلزم للعشب ان ينبت وللاولاد ان يموتوا . لعلاك في سمواتك  
ما وراء طبقة الغيم وفي اعماق هذه الزرقة النائمة التي لا تتحرك تصنعُ اشياءً مجهولةً  
يدخل فيها ألم الانسان كأنه عنصر من عناصرها

لعل هلاك الاشخاص الملاح بتيار المصائب فيه فائدةٌ لمقاصدك التي لا تحصى .  
طوالع نحوسنا تسير تحت نواميس واسعة لا يغيرها شيءٌ ولا يرقق عواطفها شيءٌ .  
وليس في الامكان ان تأتي المراحم الالهية فجأةً وتغير ناموس العالم  
اتوسل اليك يا الله بان تنظر لنفسي وتعتبر باني اتيت لعبادتك خاضعاً خضوع الصبي  
وليناً لين المرأة

واعتبرُ ايضاً باني منذ طلوع الفجر اشتغلت وقاتلت وافتكرت وسعيت وجادلت وانا  
افسر الطبيعة للناس الذين يجهلونها وانير كل شيء بنورك . واني عملت الواجب علي في  
هذه الدنيا وانا اقتحم المهالك والمخاطر ولا يمكنني ان انتظر هذا الجزاء ولا اقدر ان اتأمل  
بانك انت ايضاً تنزلُ يد بطشك على رأس المنخي وبأنك انت الذي ترى قلة حظي تأخذ  
ايضاً ولدي علي عجل . واعتبر بان النفس التي اصيبت بمثل هذه المصيبة هي مدفوعة علي  
الشكوى . وبأني اجترأت علي سبك وعلي رفع صوتي عليك كالولد الذي يرمي البحر بحجر .  
اعتبرُ ياربي بان المرء قد يشك في الله حينما يشتد عليه الالم . وان العين التي تبكي  
كثيراً تعمي في النهاية . وان الشخص الذي يلقيه مأمته في اظلم هاوية لا يمكنه ان  
يضرع اليك وهو لا يراك

اليوم وانا ضعيف القلب كالولدة المنخي علي اعتبارك تحت سمواتك المتكشفة واشعر  
في مرارة ألمي باني استنرت بنظرة وقعت مني علي العالم

ياربي ، انا اعترفُ بان الانسان اذا جسر علي الشكوى منك فهو في حالة الجنون .  
فها انا تركت الشكوى وتركت السب . فدعني ابكي . واحسرتاه ! دع الدموع تجري في

جنفوني لانك خلقت البشر لذلك . دعني انحنى على هذا الحجر البارد واقول لولدي :  
اتشعرين بانى هنا ؟

دعني اكلمها في المساء حينما يسكن كل شيء وانا منحنٍ على ما بقي من جسدها وهي  
كأنها ملك ينصت لي وكأنها تفتح في الليل عينيها السماويتين  
واحسرتاه ! لم يبق في الدنيا شيء يسليني . فالتفت نحو الماضي بعين الاشتياق  
ونظرت الى تلك اللحظة من حياتي فرأيتها تفتح جناحيها وتطير . وسأرى تلك اللحظة حتى  
مماقي . تلك اللحظة التي فاضت فيها دموعي وصرخت قائلاً : ماذا اذا الولد الذي كان لي  
الآن فقدته بالكلية !

لا تغضب علي يا ربى ان قلت هذا . لان جرحي سال دمه زماناً طويلاً والضيق في  
نفسي لم يزل شديداً . وقابلي وان خضع لكنه لم يسلم ولم يرض .  
لا تغضب يا ربى ! حيث يصعب علينا ان نخرج نفسنا من هذه الاكدار العظيمة .  
انت يا ربى اعلم بان اولادنا لازمون لنا . اذا رأى الانسان ذات يوم في حياته وهو بين  
اكداره واتعبه وفقره والبلاء الذي رمته به اقداره قد ولد له ولد جميل ضاحك بشوش  
يخال انه رأى باب السموات فتح له . فاذا رأى مدة سبع عشرة سنة ولده الذي هو  
قطعة من جسده يكبر وينمو ويعقل واذا عرف ان هذا الولد الذي يحبه هو نور في قلوبنا  
وضياء في بيوتنا وانه هو السرور الوحيد الذي لنا من جميع ما تمنناه في هذه الدنيا . فلا  
يخفى عليك يا ربى انه اذا فقدنا منا يكون حزننا عليه عظيماً . اه فيليكه في ٤ سبتمبر سنة ١٨٤٧  
وبعد ان طال رثاء فيكتور هوكو ونديه حصلت له الفة بالموت واعتاد عليه . فانحنى على  
القبر كأنه يريد انتزاع السر المكنون فيه ونظم قصائده التي عنوانها ( كلام على الكتيب )  
( وقفة في المسير ) ( ما هو الموت ) . ولكن لم يتيسر له رفع الستر عن القبر ولا ازالة الحجاب  
عن هذا الباب . واكثر في كلامه من توحيد الله وذكر الآخرة وخلود النفس  
ومن القصائد المشهورة في رثاء الاولاد القصيدة العينية التي نظمها ابو ذؤيب الهذلي  
المتوفي سنة ٢٧ للهجرة وكان مات له في سنة واحدة خمسة اولاد في الطاعون الذي حدث  
بمصر ومطلع قصيدته

امن المتوفى وربيه نتوجع      والدهر ليس بعتب من يجزع  
ومنها اردى بنى فاعقبوني حسرة      عند الرقاد وعبرة لا تقاع  
فالعين بعدهم كان حداقها      حكمت بشوك فهي عور تدمع

وفي اشعار فيكتور هوكو ما يحاكي كلام ام حكيم زوجة عبيد الله بن عباس والي اليمن من قبل علي رضي الله عنه حينما اتاهما بشر بن اوطاة قائد عساكر معاوية وذبح لهما ابنتين صبيبتين فلم تملك امهما نفسها ولا قدرت ان تعرفي مكانهما بل كانت تحوم حوم الطير حول وكر صغارها وقد ذهب عقلها وفرغ صبرها فقالت تبكيهما وتولول

هامن احس بابني اللذين هما	كالدرتين تشظي عنهما الصدف
هامن احس بابني اللذين هما	قلبي وسمعي فقلبي اليوم مختطف
هامن احس بابني اللذين هما	مخ العظام فمخني اليوم مردهف
من ذل والهة حيرى مدلهة	على حبيبتين ذلا اذغدا السلف
خبرت بشراً وما صدقت ما زعموا	من افكهم ومن القول الذي افتروا
انحى علي ودجى ابني مرهفه	مشحوزة وكذلك الاثم بقترف

ومثل ذلك مرثي شواعر العرب وجمع كلام من احد افاضل العلماء ونشره في بيروت وسيدة شواعر العرب الخنساء القائلة

اعيني جودا ولا تجهدا	الا تبكيان لسخر الندى
الا تبكيان الجري الجميل	الا تبكيان الفتى السيدا

ومن شواعر العرب برة بنت عبد المطلب جد النبي عليه السلام قالت في وفاة أبيها

اعيني جودا بدمع درر	على طيب الخيم والمعتصر
على ماجد الجذاري الزناد	جميل الحيا عظيم الخطر

والبكاء على الاموات وندبهم من عادة نساء العرب ولذا نبغت فيه الشواعر ممن سياتي وان قلب المرأة ارق واحن ولذا قال فيكتور هوكو بانه صار ضعيف القلب كالوالدة •

ومما ورد للعرب في هذا المعنى قول أبي بكر بن زهر الاتدلسي

ولي ولد مثل فرخ القطا	صغير تخلف قلبي لديه
وافردت عنه فيا وحشتا	لذاك الشيخيص وذاك الوحيه
تشوقني وتشوقته	فيبيكي علي وابكي عليه

وهذا الشاعر الرقيق اشهر بفن الطب وعلم الادب وسارت الركبان بموشحاته وهو حفيد ابي العلاء بن زهر الطيب المشهور • وكان صاحب هذه الايات بعث به الى مراکش وسمم فيها فمات سنة ٥٩٦ هـ وله بنت وأخت ماهرتان في الطب والتميلة نفيتا أيضاً الى مراکش وقتلتا مثل اخيهما بالسم • وابقى ولده في الاتدلس فقال الايات المذكورة متشوقا

## ٩ - سير الدهور

ديوان جليل ملاء الشاعر بالحكمة والفلسفة فاحوج مطالمة الى الدقة والتبصر فيه ومراجعة كتب التاريخ والفلسفة لفهم دقائق معانيه كما يحتاج لذلك قارىء اللزوميات ورسالة الغفران واشباههما من كتب الادب والفلسفة التي خفيت وقائعها على كثيرين فنسبوا لها الركافة . ومن هذه الكتب أيضاً ما ألفه الصفيدي شرحاً على الطغرائي صاحب لامية العجم والقصائد المعروفة في الكيمياء . ومنها أيضاً ما ألفه ابو بكر بن الوحشية صاحب الفلاحة النبطية سنة ٩٠٤ م ومنها نسخة في مكتبة ايا صوفيا . وزعم المستشرق الروسي شولسن<sup>(١)</sup> بان لابن الوحشية معرفة بعلم الاراميين والبابليين وفنون ادبهم ومن منظوماته ( الشوق المستهام ) تكلم فيه عن خطوط المتقدمين وكتابتهم . وله أيضاً ( سدرة المنتهى ) بحث فيها عن مواضيع دينية فلسفية . ومثل ذلك أيضاً ( ازهار الافكار في المعادن والاحجار ) لشهاب الدين ابي العباس التفاشي المتوفى سنة ١٢٥٣ م تكلم فيه عن المعادن والاحجار الثمينة وطبعه المستشرق رافوس<sup>(٢)</sup> في اوتراخت من هولانده سنة ١٧٨٤ م ثم طبعه كليمان<sup>(٣)</sup> موله سنة ١٨٦٨ م . ومن ذلك أيضاً ديوان شذور الذهب لبرهان الدين بن ارفع راسه من مدينة جيان في اسبانيا المتوفى سنة ١١٩٧ م في فاس . وغير ذلك

وجمع فيكتور هوغو في هذا الديوان سيراً حماسية انتخبها من تاريخ البشر في القرون الاولى والوسطى والاخرى وصورها في الواح معظمة وسبكها في قوالب مكبرة وقصصها قصصاً مفعمة شرح فيها سير الانسان في مراقبي العمران وخروجه من الظلمات الى النور ومن قيد العبودية الى سراح الحرية . وجعل الحق للامم والقوة للملوك الجيابرة المستبدين بالرعية . وبين كيفية تغلب الحق على القوة كما خطا الانسان خطوة في التاريخ وارتقى درجة في سلم الحضارة . وبذلك قاعده ( الحكيم لمن غلب ) من بين الامم شيئاً فشيئاً ويملو الحق وينتصر رويداً رويداً لان الحق يعلو ولا يعلى عليه

فنظم فيكتور هوغو في تصوير القرون الاولى قصيدة ( تيتان ) وسلك فيها طريقة الشاعر اليوناني ايشيل مؤلف رواية ( برومته )<sup>(٤)</sup> المقيد بالسلاسل وبين فيها ظلم الجبارين ومحارتهم الالهة ثم سقوطهم في مهاوي الحزلان . أما تيتان<sup>(٥)</sup> فورد ذكرهم في اساطير

Clément-Mullet (٣) Ravius. (٢) Chwohlsson. (١)

Titan. (٥) Prométhée (٤)

اليونان بانهم من اولاد السماء والارض وقيل بانهم عصوا على الالهة وأرادوا ان يبنوا لهم  
 صرحاً ليبلغوا به اسباب السموات اي نواحيها • فعمدوا الى الجبال ووضعوا جبلاً فوق  
 حتى كادوا يبلغون السماء الدنيا لولا ان كبير الآلهة جوثير صعقهم بصاعقة دكت الجبال دكا  
 ونظم فيكتور هوكو أيضاً (ضمير قاين) ويعرف عندنا بقايل الذي قتل أخاه هابيل  
 ثم ندم على ما فعل<sup>(١)</sup> • فصور الشاعر ندامته وعين الله ناظرة اليه بالغضب وعظم هذه  
 القصة وجسمها تجسيمياً لاثقاً برجال ذلك العصر الذين منهم عوج بن عناق • ولشعراء  
 الترك والفرس مبالغات عجيبة في تصوير مثل هذا الموضوع • كالشاعر نفعي الذي وصف  
 شدة الحر وقال بأن زفرة من زفرات النمل كافية لتنشيف البحور السبع وجعلها سراباً  
 ووصف شاعر آخر رستم عنزة الفرس وقال بأن النبل الذي رمى به من قوسه اخترق  
 السموات السبع ودخل في الامكان • واستخرج فيكتور هوكو من التوراة والاسرائيليات  
 غير هذا الموضوع وصوره كذلك في هذا الديوان

ونظم في تاريخ القرون الوسطى عدة منظومات مثل لاديسلاس وسيجسموند وغيرها  
 من الظلمة وقطاع الطرق الذين توصلوا بالقتل والنهب والحيل والدسائس الى لبس تاج  
 الملك والجلوس على كرسي الامبراطورية • وقارنهما بالسيد ورولان وغيرها من الفوارس  
 الشجعان الذين جاهدوا بانفسهم في سبيل النصرانية وتفانوا في الفيرة والحمية الدينية •  
 ورولان هو ابن اخ شارلمان وقائد جيوشه وشارلمان هو الامبراطور المعاصر لهارون  
 الرشيد • وتقدم ذكرهم وذكر السيد ايضاً وهو عنزة الاسبانيين كما ان رولان عنزة  
 الفرنسيين وكلاهما اشتهرا في الحروب مع مسلمي الاندلس • وصور فيكتور هوكو  
 القرون الوسطى بما فيها من المظالم والجرائم الفظيعة واراقة الدماء والاستبداد والنخوة

(١) سورة المائدة : وائل عليهم نبياً انبي آدم بالحق اذ قرّباً قرباناً فنقبل من أحدها  
 ولم يتقبل من الآخر قال لاقتلنك قال انما يتقبل الله من المتقين • لئن بسطت اليّ يدك  
 لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك اني اخاف الله رب العالمين • اني اريد ان تبوء بأثمي  
 وأثمك فتكون من اصحاب النار وذلك جزاء الظالمين • فطوّعت له نفسه قتل اخيه فقتله  
 فاصبح من الخاسرين • فبعث الله غراباً يبحث في الارض ليريه كيف يواري سوءة أخيه  
 قال ياويلتي اعجزت ان اكون مثل هذا الغراب فاواري سوءة اخي فاصبح من النادمين • من  
 اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل انه من قتل نفساً بغير نفس او فساد في الارض فكأنما  
 قتل الناس جميعاً ومن احياها فكأنما احيا الناس جميعاً • • • • • الخ

الجاهلية والتعصب الديني وأظن غاية الاطناب في توصيف ذلك وتعظيمه وتجسيمه ونظم في القرون الاخرى مقبرة ايلو وهو مكان في المانيا انتصر فيه نابوليون على عساكر الروس وبروسيا ، ونظم فصلاً سماه جماعة الظلام وافتتحه بقصيدة عنوانها الحرية قال فيها : بأي حق تضع الطيور في الاقفاص ؟ بأي حق تغتصب هؤلاء المغردين وتحرم منهم الغابات والانهار والفجر والرياح ؟ بأي حق تسلب هؤلاء الاحياء حياتهم ؟ اتظن ايها الانسان بأن الله خلق الجناح لتعلقه على مسمار في بيتك ؟ ألا يمكنك ان تعيدش سعيداً مسروراً بدون ذلك ؟ ما الذي فعله هؤلاء المعصومون ليوضعوا في الحبس ؟ من يعلم كيف يمتزج حظهم مع حظنا ؟ من يعلم اذا كان العصفور الذي يُنهب من الاغصان ، ومن يعلم اذا كان الاذى الذي تؤذى به الحيوانات ، واذا كان الاستعباد الذي يجري على البهائم بلا فائدة لا ينقلب على رؤوسنا ظمناً كظلم نيرون ؟ من يعلم اذا كان زنجير الحبس لم يخرج من ارسان الحيوانات ؟ .....

خذ حذرك من المدالة الالهية لان الله ينظر الى المكان الذي يبكي الاسير فيه ويضرخ . ألا تفهم ايها الانسان بانك ظالم ؟ اطلق سراح هؤلاء المحبوسين ودع البلابل تطير في الحدائق . فيزان العدالة وان اختلفى عن الاعين فله كفتان تزن الاعمال ..... الخ . الخ .

ونظم قصيدة اخرى عنوانها ( الحرامي والملك ) وبين المشابهة بينهما وما يرجح به كل واحد على صاحبه . ونظم قصيدة اخرى عنوانها ( لاملوك ) خاطبهم فيها بكلام ترتعد منه الفرائص وتتشعر الجلود فقال لهم : اتظنون انتم باننا نحن نجحكم ! نحن الذين نشغل في هذه الارض ونستخرج ثروتها ونكد ونجد في حر الشمس وبرد الشتاء ولا نتال من اتعابنا غير الجوع والعطش . واتم على سرر مرفوعة من العز والنعيم . وعلى جانب من التبذير والاسراف والفحش . نحن الخدم واتم المملوك . نحن الغنم واتم الذئب . نحن الفريسة واتم المفترسون . تبنون القصور والسرايات من اموالنا واتعابنا وترتعون فيها وتلعبون ونحن نقاسي نزاع الموت على لقمة . لا شغل لكم الا الاكل والنوم والسكر والفحش والقتل والظلم . فاتم لا فرق بينكم وبين الاسود انكاسرة والوحوش الضارية ..... الخ . الخ .

وأظن فيكتور هوغو في بيان الحرية وتعريفها باساليب كثيرة وصور مختلفة واشكال متنوعة . ومن كلامه ما ورد على حد قول المعري في اللزوميات :

يكفرك حزناً ذهاب الصالحين معاً  
ان العراق وان الشام منذ زمن  
ساس الانام شياطين مسالطة  
من ليس يحفل خص الناس كلهم  
تشابه النجر فالرومي منطقه  
أما كلاب فاغنى من ثمالهم  
مق يقوم امام يستقيد لنا  
صلوا بحيث أردتم فالبلاد أذى

وقال ايضاً

ملّ المقام فكم اعاشر أمة  
ظلموا الرعية واستجازوا كيدها  
أمرت بغير صلاحها أمراؤها  
فمدوا مصالحها وهم اجراؤها

وقال ايضاً

يا ملوك البلاد فزدم بنسء العمر والجور شأنكم في النساء  
ما لكم لا ترون طرق المعالي قد يزور الهيجاء زير نساء  
يرتجي الناس ان يقوم امام ناطق في الكتيبة الخرساء  
كذب الظن لا امام سوى العقل مشيراً في صبحه والنساء  
فاذا ما اطعته جلب الرحمة عند المسير والارساء  
انما هذه المذاهب اسباب لجذب الدنيا الى الرؤساء

قطان اي سكان . صفران اي خاليان من الحكومة العادلة . الخمص الجوع  
نقول خمسه الجوع خمصاً ومخصه . المبطان الذي لا يزال ضخم البطن من كثرة الاكل .  
النجر الاصل . مرطان مفعال من الرطانة وهي كل كلام لا يفهم . وما اصدق هذا البيت  
على اهل زماننا فان اكثر المشتغلين بادب العرب وكتبتهم هم من غير العرب بل ومن غير  
المسلمين . يستقيد من القود وهو القصاص الذي فيه الحياة والعدل والوصول الى الحقوق .  
الاعطان مبارك الابل ومرابض الغنم . الشطن بفتح تين الخبل وجمعه اشطان . عدوا  
مصالحها اي تعدوا على مصالحها وجاروا فيها . نسيء العمران تاخيرها . والنساء جباية  
الاموال . زير النساء كثير الزيارد للنساء . الكتيبة الجيش . والخرساء الذين لا يسمع لهم  
صوت لقله كلامهم

غرضُ القومِ متعةٌ لا يرقونُ لدمعِ السماءِ والخنساءِ  
 كالذي قام يجمع الزنج بالبحره والقرمطي بالاحساءِ  
 فانفرد ما استظمت فالقائل الصادق يضحى ثقيلاً على الجساءِ  
 وما يحاكي بعض ابيات قصيدة الحرية المتقدم ذكرها قول المعري  
 أَعَاذَلْ اِنْ ظَلَمْنَا الْمَلُوكَ فَنَحْنُ عَلَي ضَعْفَنَا اِظْلَمْ  
 تَوَسَّطْ بِنَا سَائِرَاتِ الرَّفِّ اِقْ لَعْل رَكَئِبْنَا تَسْلَمْ  
 اِلى اِنْ قَالِ فَلَآ تَغْبِطَنَّ ذَوِي نِعْمَةٍ نَحْلِفُهُمْ وَقَعَةٌ صَيْلَمْ  
 تَسَامَتْ قَرِيشٌ اِلى مَا عَلِمَتْ وَاسْتَاثِرَ التَّرِكُ وَالِدَيْلَمْ  
 وَهَلْ يَنْكُرُ الْعَقْلُ اِنْ يَسْتَبَدَّ بِالْمَلِكِ غَايَةَ غَيْلَمْ  
 وَمَا ظَفَرُ الْمَلِكِ فِي جَيْشِهِ سَوَى ظَفْرِ بِالرَّدَى يَقْلَمْ

وقوله

واقصاني من الرؤساء كوني وكونهم خالقنا عبيدا

وقوله

قد عمنا الغشُّ وأزرى بنا في زمنٍ اعوزَ فيه الخصوص  
 ان نصح السلطان في امره رأى ذوي النصح بعين الشصوص  
 وكل من فوق الترى خائن حتى عدولُ المصر مثل اللصوص

وقوله

لقد ساس اهل الارض قومٌ تفتقتُ امورٌ فما ألفتُ لهم يدَ رائق  
 هم هتكوا بالراح استمار عادل ولم يحفظوا بالنسك حرمة نائق  
 اذا جرحوا دنأ فلم يرجُ عندهم قصاصاً اجادوا قتل عذراء عائق  
 وصاغوا بما تجني الولاةُ مراكنأ وزادوا على اسيافهم والمنائق

الشماء التي استوت قصبة انقها وارتفعت ارنبتة والخنساء التي تأخرانقها وقصر وانشار  
 بها هنا الى الشريفة والوضيعة . الذي قام يجمع الزنج علي بن محمد وينتهي لعلي بن ابي  
 طالب . والقرمطي ابو القاسم بن زكرويه وينتهي ايضاً الى علي بن ابي طالب رضي  
 الله عنه وخرج في ايام المكتفي سنة ٢٨٧ هـ . الصيلم الداهية . وقوله تسامت قريش اي  
 تغالبهم ومقاتلة بعضهم بعضاً فكان هذا سبباً لغلبة الترك والديلم عليهم . والغاينة الغيلم اي  
 الخنساء يقال للص الذي لا يرى شيئاً الا اتي عليه شخص من الشصوص

ولو كان للدنيا لدى الله قيمةٌ لما نظروا في آهلات الرسائل  
وقال ايضاً

صاحب الشرطة ان الصفي فهو خير لي من عدل ظلم  
من اراد الخير فليعمل له فعليه لذوي اللب علم  
حكم الناس غواةً مثلما حكمت قبل حصة وزلم  
لا تمأون بصغير من عدى فقديماً كسر الرمح القلم

ويعجبني مقالته في هذا الباب شاعر العصر احمد شوقي بك من القصيدة التاريخية التي

تلاها في مؤتمر المستشرقين في جنوه ( جنيف ) سنة ١٨٩٤ م قال

ان ملكت النفوس فابغ رضاها فلها ثورة وفيها مضاء  
يسكن الوحش للوثوب من الاسر فكيف الخلائق العقلاء  
يحسب الظالمون ان سيسودون وان لن يؤيد الضعفاء  
والليالي جوائز مثل ما جا روا وللدهر مثلهم اهواء

١٠ - اغاني الشوارع والاحراج

وهو ديوان كالذي سبق ولا حاجة الى ايراد مثال منه . واما ما نظمه فيكتور هوغو

في شيخوخته فهو

١١ - السنة المبهولة

هجا في بعض هذا الديوان نابوليون الثالث وعد سقوط حكومته الامبراطورية كفرارة  
لما اقترفه من السيآت على زعمه في حادثة ٢ ديسمبر . وبين في بعضه الآخر ما جاد به  
الفرنساويون من الغيرة والشجاعة في الدفاع عن الاوطان اثناء حرب السبعين الالمانية وما  
قاموا به من الثبات في حصار باريس . واعتبر الحرب الفرنسية الالمانية كأنها آخر حلقة  
لسلسلة الحروب التي اثارتها دول القرون الوسطى المعبر عنهم بالقيودالينة وهم اشبه بما كان  
في بلادنا من اصول التيجار والزعامة وبمحكومة الامراء الذين قيل لهم ( دره بك ) . وعد  
انقطاع تلك السلسلة وزوال هاتيك الافكار العسكرية بظهور الفكر الجديد والتقدم  
العصري . وتكلم في القسم الثاني من هذا الديوان على ويلات الحرب الاهلية وما اقترفه

رتق الفتق اي اصلح الفاسد . عاذل هو العرق الذي يخرج منه دم المستحاضة .

الناطق كثيرة الاولاد . . المركن يستعمل للماء . الدن خاوية الشراب . والعدراء العائق

الخمر القديمة وهي التي لم يفض ختامها احد وقتلها مزجها

الرعاع ( كومين ) في باريس من الفظائع الدموية واظهر حمقهم وجهالتهم في احراق الديار  
وذبح الرجال وختمه بطلب العفوعن المجرمين المغلوبين

١٢ — صناعة كون المرء جدياً

تكلم في هذا الديوان على الاطفال والاولاد وشبههم بالملائكة واعتبر وجودهم على  
الارض دليلاً على رحمة الله وتأييداً لما يرجوه الناس من الحياة الآخرة . وكان فيكتور  
هوغو يطرب لباباة الاطفال ومناجاتهم ولعب الصغار وهوشاتهم ويفرح لابتسامهم  
وضحكهم وتبريق عيونهم وتهلل وجوههم ويحصل له من جميع ذلك تجل واستفراق ظيهر اثره  
في نظمه . وبعد ما اصيب في اولاده عكف على حب حفيده جورج وحفيدته حنه ( جان )  
وشغف بهما شغفاً زائداً والتزم تربيتها بنفسه فكان يشاهد نشوئها وفتوح الروح وانفتاح  
الذهن فيهما وينظم مطالعته وما يلهم به من الشعر . فنظم جميع ما يتعلق بالاطفال  
والاولاد من تهليل وترقيص وتايبة وتلعيب وصور جميع حركاتهم وسكناتهم ونوهم وقيامهم  
وجريهم ونظهم ولعبهم . مثال ذلك القصيدة التي عنوانها ( اغاني لترقيص الاولاد الصغار  
في الحلقه ) وكذا المنظومة التي عنوانها ايضاً ( حنه كانت في الغرفة المظلمة على الخبز الحاف )  
وذلك ان مربيتهما جازتها بهذا الجزاء تاديباً لها . فجاءها جدها من وراء الباب المقفل  
واطعمها الخلواء خفية فقالت له تبت وما عدت ادخل اصبعي في انفي ولا ادع الهرة تجمشني  
فذهب يتشفع لها عند مربيتهما . فاعترض عليه اهل الدار وقالوا له اطعمتها كثيراً وافسدت  
تربيتها . وكيف ينتظم امر البيت ان لم يكن فيه وازع وراذع وقانون يتبع . فاقرب بخطئه  
واعترف بان كثرة المرحة مضره بمصلحة العائلة كضررها بمصلحة الامة وبعث على الخطاطايا  
وهلاكها . وقال لهم انا المخطيء ضعوني مكانها في الغرفة المظلمة على الخبز الحاف . فقالوا  
له انت مستحق لذلك لان القانون ينبغي ان ينفذ على الكبير والصغير . فنظرت اليه حنه  
بعين الشفقة والمرحة وقالت له بصوت منخفض ( وانا اجيب لك الخلواء ) . فنظم الشاعر  
هذه القصة بصورة بديعة والفاظ عذبة وهي مثال لمواضيع قصائده . فكان كالصغير مع  
الصغار ولذا انتقد عليه بعض الادباء وقالوا بان في اشعاره ما هو اشبه بباباة الاطفال لا  
لذة فيه ولا طعم له

ثم نظم اربعة دواوين صغيرة لخص فيها مسلكه الفلسفي وجميع معارفه العلمية وافكاره  
الدينية والهوامته الربانية وسمها ( الاديان والدين ) . ( البابا ) . ( الحمار ) . ( الرحمة العالية )  
ونظم فيها شيئاً كثيراً مما نقرأه في لزوميات المعري على حد قوله :

دين وكفر وانباء نقص وفر  
في كل جيل اباطيل بدان بها

قانت ينص وتوراة وانجيل  
فهل تفرد يوماً بالمدى جيل

وقوله

جاء القرآن وامر الله ارسله  
وكان ستر على الاديان فانخرقا  
ما ابرم الملك الا عاد منتقضا  
ولا تألف الا شت وافترقا  
مذاهب جعلوها من معاشهم  
من يعمل النكر فيها تعطه الارقا

ولكن كلام فيكتور هو كواضح واظهر واجمع واكثر تفصيلاً وترتيباً وان كان  
الشاعران يتفقان كثيراً في اصل الفكرة وتتوارد خواطرها على المعاني الواحدة .  
ويظهر في كلامهما اثر الحيرة والدهشة من النظر في الكون ولكن فيكتور هو كوا لم يستول  
عليه اليأس ولا القنوط الذي استولى على افكار المعري واحرمه من نعيم الدنيا ولذائذ  
الحياة مع ما كان له من سعة الرزق وكثرة المال . ومما انشده في ذلك :

واتهامي بالمال كلف ان يطلب مني ما يقتضي التمويل

ويقول الغواة خولك الله كذبتهم لغيري التحويل

عيشة ضاهت الهواذير ما فيها مفيد وكلها تطويل

ان حباك التقدير كالليل تبرا فليفضه العطاء والتحويل

الى ان قال واذا هوت علي المنيا راقتي من وعيدها التهويل

حوليني عن ظاهر الارض فالقلب يسلي همومه التحويل الخ

ووردت ترجمته في بعض الكتب الفارسية وقيل فيها بانه كان من أهل الثروة واليسار

مع زهد وتقشف

### ١٣ — الاديان والدين

ديوان مشحون بالحكم ولكن ضيق الوقت منعنا عن تدقيقه ومقابله بما ورد على  
مثاله من شعر العرب . وهو على خمسة ابواب : باب الجدل ، باب الفلسفة ، باب لاشيء ،  
باب الاصوات ، باب النتيجة ، ونظم في باب المجادلات تسع منظومات : (١) يوم الاحد  
(٢) اول التفكير (٣) التيلوجي ونسميه المتكلم او المتكلمون وهم الباحثون في علم  
الكلام والتوحيد . (٤) للتيلوجي اي خطاباً لهم ومطالعها :

ايها الرهبان ، ايها اللابسون الحرام والطيلسان ، سوائه عليكم اتعمتم بعمائم البر او

توحيتم بالتيجان المرصعة بالجواهر والآتيء فحيث جعل لكم في هذه الدنيا حقاً بالحماقة  
فانتم تتجاوزون فيها الحد بشدة لا مثيل لها • لان العلي الاعلى يغض بصره ويصم اذنه  
عنكم •••• الخ • (٥) الاختراع • (٦) الايدي المرفوعة نحو السماء • (٧) احسن  
الصنع وبين فيها ما يقوله المتكلمون من النصارى في حق الله • (٨) بقية • (٩) مسائل  
ثم ذكر في الباب الثاني آراء الفلاسفة وفي الباب الثالث آراء الملحددين الجاحدين  
الذين يقولون بعدم وجود شيء • ان هي الا ارحام تدفع وارض تبلى وما يهلكنا الا  
الدهر • وانما مثلنا كمثل الزجاج اذا انكسرت لا يعاد لها سبك • وأما الخاتمة فهي  
منظومة طويلة نظر بها في حسن السماء ونجومها التي هي زينتها وفي الشمس والقمر ونورها  
وفي الكون باجمعه وقال في ختامها : هو موجود ! هو موجود ! انظري ايها النفس •  
فله اوج وهو الضمير • وله محور وهو العدالة • وله نقطة اعتدال وهي المساواة • وله  
فجر واسع وهو الحرية • وشعاعه ينير فينا ما تتصوره النفس فهو موجود ! موجود !  
موجود ! بلانهاية ، بلا بداية ، بلا كسوف ، بلا ليل ، بلا فراغ من العمل ، بلا نوم  
فارجع يا دودة الارض عن خلق الشمس • اه وهذا على حد قولنا لا تفكر في  
ذات الله وحقيقته بل تفكر في خلقه ومصنوعاته

١٤ — الحمار

أراد المؤلف بنظم هذا الديوان بيان افضلية الطبيعة والسوق الطبيعي على العلم لا سيما  
على العلم الكاذب والباطيل • وقايس فيه بين صبر الحمار وصلاحه وبين خشونة الرجل  
وعبث الصبي • لان الحمار وان كان في عرفنا كناية عن البلادة والغباوة ومن اوصاف  
الذم ولكنه في عرف المتقدمين رمز عن الصبر ولذا سمي مروان الحمار وكان ذا شجاعة  
وحزم • وسمى اليونان بعض رجالهم واطنه اشيل بالحمار أيضاً • ففيكتور هوكو سمي  
حماره الصبر وقايس بينه وبين الفيلسوف كانت وجعل بينهما مخاطبات فلسفية بديعة وقال  
لكانت ما الذي وجدته بعد خوض بحار العلوم وما الذي استنتجته من سبرغورها والى  
اين اوصلتك هذه الكتب والدفاتر فهي لم تدون ولا وضعت في المكتبات الا لترعى في  
حواشها الأرضة وتتخزن فيها الرطوبة فالعلم الحقيقي هو في وجه الطبيعة والطفولية وفي  
الابتسام والصلاح والبشاشة ••• الخ

١٥ — الرحمة العالية

صور في هذا الديوان الظلم والاستبداد وبكاء المظلومين ولعنهم الظالمين وشخص

القوة المستبدة أحسن تشخيص وبين الحامل للمستبد في أمرهم على الشكوى • ولكن المفكر في باطن الامر ونفس الحقيقة يرى اولئك الظالمين الملعونين في حاجة واختيار للشفقة عليهم ايضاً • لان حمل الحكومة والدولة من أثقل الاحمال • سيما وان اولي الامر وأصحاب الاستبداد محاطين دائماً بالمداهين والمتعلقين • فالظالم شنيع ولكن المغربي له والمتبصص أشنع فالمتعلقون يفسدون اخلاق الملوك منذ حداثة سنهم وهم يكررون عليهم في كل صباح ومساءً ( كل هذه الامة هي لك ) • فحب الملك خصامته كبقية الخصال الانسانية والملوك يستوون في الخصال مع بقية الناس ولكنهم يفرقون عنهم بان الحقيقة تخفى عليهم بالكلية ولا يطلعون على حلي الخبر فهم أحق وأولى بالرحمة العالية

### الدرام

استعملنا هذا الاسم لينبأ يضع أدياء العرب اسماً مقابلاً له أو يربوه كما عرب المتقدمون كلمة موسيقى أو ارتماطقي ونحوهما من الكلمات اليونانية • والمقتضى لهم ايجاد كلمة تكون على وزن من أوزان الاسماء العربية ويسهل النطق بها على اللسان لانا في عصر نحتاج فيه لادخال كلمات جديدة في لغة العرب كما ادخل السلف فيها الكلمات اليونانية والفارسية وغيرهما على عهد الخلفاء العباسيين

### ١ - كرومويل

أول درام الفه فيكتور هوكو هو درام كرومويل وتقدم ذكر مقدمة هذه الرواية في تعريف الطريقة الرومانية • أما كرومويل فهو من أشهر رجال الانكليز في القرن السابع عشر للميلاد اشتغل بالسياسة حتى صار رئيساً للحزب الجمهوري وأحدث (الثورة) الانقلاب الذي قتل فيه شارل الاول ملك الانكليز سنة ١٦٤٩ كما قتل لويس السادس عشر ملك فرنسا سنة ١٧٩٣ م واستبد أوليفيه كرومويل بالجمهورية وصار صاحب الامر والنهي كانه ملك • ولم يقنع بما استحوذ عليه من السلطة والنفوذ بل وسوس له الخناس الذي يوسوس في صدور الناس بان يملك على الانكليز • فاخذ في تهيئة الاسباب واعداد المعدات كما فعل نابوليون الثالث حينما تتوج بتاج الامبراطورية واستعدت بلدية لوندرة لتقديم الصولجان له وتبأ البرلمان لالباسه التاج وكاد الاحتفال برسم التتويج يتم في كنيسة وستمنستر حسب الاصول والتقاليد القديمة ولم يبق بينه وبين الفوز بامنيه الا قاب قوسين أو أدنى • فحينئذ اكتشف على عصبة سرية من اصحاب الجمهورية يأتمرون على قتله ولا

يؤخرهم عن الفتك به الا انتظار رسم التتويج لينغمدوا سيفهم المسلول في قلب ملك لا في قلب رئيس للجمهورية . نخاف ورجع عما تشبیه نفسه وأظهر ميله للمحافظة على قوانين الجمهورية وكرهته في لبس التاج والتملك وأخفى شوقه لعروس المملكة وحرصه الزائد على نيل وصالها لان الظلم من شيم النفوس

وكان أوليفيه كرومويل ذا اخلاق غريبة وطينة عجيبية وطبيعة متقلبة اجتمع في خصاله الضدان من شهامة ودناءة وجبن وشجاعة وشدة ورحمة ولين جانب وقساوة وحرية افكار ونفاق ومجاملة ولذا اتخذ فيكتور هوغو بطلاً لروايته وصور اخلاقه تصويراً بديعاً وجعل مجرى الرواية في ويت هال سنة ١٦٥٧ وافتتح الرواية بقوله :

( غدا الخامس والعشرون من حزيران سنة الف وستماية وسبع وخسين ) وختمها بقول كرومويل ( اذاً متى اصير ملكاً ؟ ) اشارة الى شدة حرصه على الملك . فالادباء الناهجون منهمج الطريقة الرومانية يعتبرون هذا المطالع وهذه الحاتمة من ابداع المطالع والحواتم وابلغها مع بساطتها وخلوها عن التشابه والاستعارات المدرسية . ويقولون بان انشاء الرواية من أعلى طبقات الانشاء ولكن تمثيلها على المراسح متمسر لطولها وكثرة اشخاصها فهي اشبه بكتاب تاريخي مدقق منها بالرواية التمثيلية . وعدا هذا فؤلفها لم يحسن توصيف اخلاق الرجال ولم يستطع اعطاء كل رجل صفة الحقيقية بدون افراط ولا تفريط بل اتبع في الوصف تصوراته وخيالاته . والمطلوب في الرواية التمثيلية تصوير الرجل بذاته وافكاره بلا غلو ولا اطراء ولا مبالغة ولكل رجل تاريخي احوال مخصوصة تكتنف به بذني صراعاتها في تأليف الرواية فنابوليون مثلاً له تعبيرات وافكار وأطوار لو خرج عنها مؤلف الرواية لافسد تأليفه وكذا الملك صلاح الدين الايوبي مثلاً . ولكننا لم نزل نجهد حقيقة تاريخنا فضلاً عن معرفة اخلاق كل رجل وأطواره . أما الافرنج فلكثره معلوماتهم وسعة اطلاعهم لو حضر أحدهم تمثيل رواية وكان من اصحاب الذوق في الكلام لا يكتفي بالتبصر في محاسن الالفاظ وتنسيق الكلام ورونق الاشعار وعلو الانشاء بل ينظر مع ذلك الى الالهام وهو حسن الموضوع وتصوير اخلاق الرجال واستنتاج النتائج الادبية الفلسفية الاخلاقية . بخلاف من يتلو منا مقامات الحريري والهمذاني أو يستمع تلحين الاشعار وأنشادها على العود والقانون فان طربه في الغالب انما هو لحلاوة التعبير ويلهبها عما يحتويه من الفكرة والمعاني فحلاوة التعبير هي كالديباج والحلي للافكار والمعاني . وربما يلهب المرء بحلي الغانية وزينتها عن جمالها الحقيقي

كما نشاهد ذلك على المراسح في المشخصات المتوسطات في الحسن اذا برزن بزينة الاميرات وباثواب الملكات

٢ — ايرناني

وسماها المؤلف أيضاً الشرف القشتالي وقشتالة ايلة في وسط اسبانيا . وصور فيها الدولة الاسبانية وهي في ذرى مجدها وأوج عزها

وذلك ان العرب بعد فتحهم اسبانيا وتأسيسهم الدولة الاموية فيها فرّ بقية امراء القوط الى جبال استوريا في الشمال الغربي من اسبانيا واسسوا فيها دولاً صغيرة . فلم يعبأ بهم المسلمون وحسبهم من المتشردين فلم يستاصلوا جرثومتهم ولا اجلوهم الى ما وراء جبال البيرينه كما كانت تقتضيه الحكمة السياسية من تحكيم الثغور في هذه الجبال واتخاذها سداً مانعاً لهجوم الاعداء على المملكة الاسلامية . ثم ظهرت ملوك الطوائف من المرابطين والموحدين وبني زيان وبني هود وآخريهم بنو الاحمر . ومؤسس هذه الدولة عبد الله محمد ابن احمر سنة ٦٣٣ هـ وعدة ملوكها عشرون واستمر ملكهم ٢٦٥ سنة وكان آخرهم ابا عبد الله الصغير وكانت عاصمتهم غرناطة<sup>(١)</sup>

فلما ضعف امر المسلمين وكثر النزاع والجدال بين امرائهم قويت شوكة المسيحيين في شمال اسبانيا . وكان يوان الثاني حاكماً على اراغون وهي ايلة في شمال اسبانيا على ساحل البحر المتوسط وعلى صقلية فزوج ابنه فرديناند بابنة حاكم قشتاله وهي ايزابلا . وتلقب فرديناند بالكاثوليكي وخلف اياه في الملك واستولى على قشتاله بالصاوية عن زوجته وحارب المسلمين واخذ منهم غرناطة واخرجهم من اسبانيا واخذ من فرنسا وبين مملكة نابولي في ايطاليا وفي ايامه اكتشفت اميركا وحمل ما فيها من الذهب الى اوروبا . وبعد وفاة ايزابلا انتقل

(١) الخلافة الاموية في الاندلس من سنة ١٣٩ — ٤٢٣ = ٢٨٤ سنة هجرية

» ملوك الطوائف ٤٢٣ — ٤٧٩ = ٥٦ »

» دولة المرابطين ( يوسف بن ناشفين ) ٤٧٩ — ٥٤٠ = ٦١ »

» دولة الموحدين ٥٤١ — ٦٦٨ = ١٢٧ »

» ملوك الطوائف : ٦٦٨ — ٨٩٨ = ٢٣٠ »

١٤٧٩ ميلادية فرديناند وايزابلا

» ١٥١٩ آل اوستريا ( شارلكن )

» ١٧٠٠ آل بوربون

ملك قشتالة بالارث الى بنتها حنه المجنونة وكانت متزوجة بفيليب الجميل ارشيدوق اوستريا وخافت منه ولداً اسمه الدون كارلو فانتقل اليه بالارث ملك جده فرديناند وجدته ايزابلا واجتمعت له المملكة الاسبانية بما فيها من الثروة الاميركية . ثم ورث من جده الثاني امبراطورية المانيا وصار انتخابها لها وتلقب بشارلكين وحاز على جميع الممالك المذكورة في الجدول الآتي

جدول في بيان ما ورثه شارلكين اي شارل الخامس من الممالك

(١) آل اسبانيا (٢) آل اوستريا

فرديناند الكاثوليكي	تزوج	ايزبلادي قشتاله	مكسميليان	تزوج	ماري دي بورغونيا
ملك		ملكة	امبراطور المانيا		الوارثة من شارل
اراغون ونابولي		اسبانيا والمستعمرات	وارشيدوق اوستريا		الجسور ( هولانده
		الاسبانية في اميركا	وارتوا وفرانش		كونته )

حنه المجنونة تزوجت فيليب الجميل

الدون كارلو وهو شارل دوتريش الذي لقب فيما بعد شارلكين  
أما اوستريا فكانت احدى الامارات التي تتألف منها امبراطورية المانيا  
أما امبراطورية المانيا فكانت مجموع امارات ومدائن حرة . وكانت الامبراطورية  
فيها بالانتخاب لبالوراثة . وذلك انه عند موت الامبراطور يجتمع امراء الامارات السبعة  
وهم اكبر الامراء الذين تتألف منهم الامبراطورية ولذا لقبوهم (المنتخبين السبعة)  
وانتخبوا امبراطوراً من اوستريا في الغالب اي من العائلة التي تملك على اماره اوستريا .  
فلما مات مكسميليان امبراطور المانيا سنة ١٥١٩ م انتخب حفيده شارلكين . وكان  
فرانسوا الاول ملك فرانسوا صاحب عظمة وثروة وتفوذ وعسكر فكان يسعى مع  
المنتخبين في انتخاب نفسه ورشاهم بكثير من الاموال والهدايا فآخذوا ماله وانتخبوا  
عدوه شارلكين فاشتدت الرقابة والعداوة بينهما . وكاد شارلكين يتفرد بالملك في اوروبا  
ولم يبق له رقيب فيها سوى فرانسوا الاول ملك فرانسوا فخاربه وأسره واحضره الى

مدريد عاصمة ملكه وعقد معه معاهدة موافقة لسياسته ثم اطاق سراحه فلما وصل أرض  
فرانسا نقض العهد واستمد السلطان سليمان القانوني وكان اقوى ملوك الارض قاطبة .  
وجرت محاربة بحرية في مياه تونس بين اسطول شارلكين واسطول خير الدين باشا المشهور  
باسم بارباروس اي ذي اللحية الشقراء وانتصر فيها العثمانيون وانتصرت العساكر  
الانكشارية أيضاً على العساكر الالمانية في محاربة اخرى برية وقعت على حدود النامسا  
والمانيا . وكان شارلكين شديد الحرص على التفرد بالملك والسؤدد فلما لم يستطع ادخال  
جميع اوروبا في حكمه وتحت نفوذه استولى عليه اليأس وانقطعت آماله فتنازل عن ملك  
اسبانيا لابنه فيليب الثاني وتفرغ عن امبراطورية المانيا لاختيه فرديناند واعتكف هو في  
دير من الدير الى ان مات حزناً وكداً

أما موضوع رواية ايرناني فهو ان الدون قارلو قبل ان يصير امبراطوراً على المانيا  
ويتسمى شارلكين كان يهوى في مدريد غانية اسمها الدونة سوله وكان يهاها ايضاً عمه  
الدوق روى غوميز أما هي فكانت تعشق شاباً من الاشقياء وقطاع الطريق اسمه ايرناني  
وكان ثلاثهم يترددون عليها بدون ان يشعر احدهم بالآخر . فصادف الدون قارلو عند  
معشوقته هذا الشاب مرتين ففي المرة الاولى ممكنه من الخروج ولم يتعرض له وفي المرة  
الثانية ضيق عليه بالحرس وحصره بالعسكر واباح لهم دمه وجعل جائزة لمن يأتيه برأسه  
ففر ايرناني بكل مشقة من بيت حبيبته واختفى عن الابصار . فلما انقطع امل هذه الغانية  
من الملك ومن حبيبها الشاب القت نفسها بين ايدي عاشقها الثالث وكان شيخاً هرماً ففرح  
بها وحملها الى قصره وأراد الدخول بها . ثم اهتدى ايرناني الى حبيبته وجاء اليها وبينما  
هو يغازلها ويعانقها واذ دخل صاحب البيت وهو الدوق روى غوميز ووجدهما متعانقين  
ثم جاءهم الملك بتمته وأراد القبض على ايرناني فامتنع الدوق من تسليمه وعداً اخذه من  
بيته اهانة لشرفه وأشار الى صور أبائه واجداده المعلقة على جدران الغرفة وهم حماة  
الملهوفين ومغيثو المستجيرين . فترك الملك ايرناني وأخذ الغانية عوضاً عنه وخرج بهامن  
القصر . فلما نجا ايرناني من الهلاك طاب من الدوق ان يطلق سراحه ليتعقب أثر محبوبته  
ويخلصها من ايدي الملك وعاهده على ان يعود اليه متى طلبه واعطاءه بوقاً لينفخ فيه متى  
أراد ان يستدعيه فاذا سمع صوت البوق حضر اليه بالحال

ثم ينتقل مجلس التشخيص الى اكس لاشابل في المانيا وكانت عاصمة الامبراطور  
شارلمان وفيها قبره ثم جرت العادة بتتويج الامبراطور في هذه المدينة . فاذا أرادوا تولية

أمبراطور اجتمع المنتخبون وهم الملوك او الامراء السبعة الذين لهم حق الانتخاب واختاروا أحدهم والبسوه التاج واطاعوه • وكان الدون كارلو مرشحاً لهذا الامر • فأثمرت عصبية على قتله وفيهم عمه الدوق روى غوميز واختفوا في المحل الذي فيه قبر شارلمان وأخذوا معهم ايرناني ليطعنه بخنجره • فعلم بهم الدون كارلوس ودخل المقبرة ونزل لقبر شارلمان وفاه بكلام هو من ملول الكلام ومن ابغ ما نظمه فيكتور هوغو • ثم أطلقت المدافع ودقت الاجراس اعلاناً بانتخابه امبراطوراً على المانيا وخليفة لشارلمان والقي القبض على المتآمرين وأراد قتل ايرناني لانه ليس من ذوي الرتب والشرف ولكنه بين نسبه وظهر بان اسمه الحقيقي هو جان داراغون دوق سينورب وقاردونيا فعفى عنه وزوجه بمشوقته الدونة سوله فلما أخذها وأراد الخلوة بها في قصره سمع صوت البوق فتذكر عهده وفضل الموت على عدم الوفاء بالوعد فشرب السم وشربت حبيته ثم قتل الدوق روى غوميز نفسه ايضاً من شدة حبه لتلك الغانية • فهذه الرواية ليس لها حقيقة تاريخية وانما هي من مختلفات الشعراء وتخيلاتهم ولكنها في اعلى طبقة من البلاغة والانسجام وحسن الذوق

٣ — روى بالاس

صور المؤلف في هذه الرواية التاريخية انحطاط دولة اسبانيا في اواخر القرن السابع عشر للميلاد وذلك انه بعد فيليب الثاني ابن شارلوكين المتقدم ذكره جلس على كرسي المملكة الاسبانية ابنه فيليب الثالث ثم فيليب الرابع ثم شارل الثاني آخر ملوك هذه السلالة النامساوية • ولما جلس سنة ١٦٦٥ م كان عمره اربع سنوات وهو لا يستطيع المشي ولا الكلام فكانت الوصاية لاهمه ثم لاخيه وامراته ووزراء دولته • وبعد ان كبر ايضاً لم يلتفت لمصالح الملك واهمل ادارة مملكته وبيته وزوجته وكان يقضي ايامه في الصيد والتجول في البراري والغابات وامراته في هم وكدر من وحدتها وتكلفتها باسم التشرىفات وبالاقاليد المرعية في قصر الملك ولم يكن لشارل الثاني ولد فاصى بالملك لوفيد لويس الرابع عشر ملك فرنسا وانتقلت دولة اسبانيا من آل اوستريا الى آل بوربون سنة ١٧٠٠ وزال نفوذها واعتبارها من بين الدول الاوروبية ولم تزل في انحطاط لم تتخلص منه للآن وترى بعين الحسد تهافت الدول الاوروبية على استعمار افريقيا ومدتهم فيها السكك الحديدية وجرحهم المنافع التجارية وهي شاخصة ببصرها كالمقعد الذي يروم النهوض ولا يستطيعه • واضاعت بالامس آخر مستعمراتها في اميركا وهي جزيرة كوبه ثم جزائر

فيلين ولم تكسب اليوم من تقسيم البلاد المراكشية الا جزاءً موهوماً على ساحل المحيط الغربي يسمى ( ريو دورو ) اي نهر الذهب ويشاهد رسمه على الخريطة المرسومة بعد عقد المعاهدة بينها وبين فرانسوا ولا يرى أثر حقيقة مسماه وجل ما يعلم عنه ان ليس هناك لانهر ولا ذهب

فصور الشاعر في هذه الرواية انحطاط المملكة الاسبانية وشرح اسباب انقراض دولتها فاذا رفع الستار عن المسرح ظهرت غرفة من غرف قصر الملك في مدريد وفيها وزير المملكة وقد غضبت عليه الملكة وطردته من القصر لانه لم يقبل بان يتزوج بنتاً من حاشيتها بعد ان راودها وحظي بها وقبل ان يخرج من القصر ليلتزم بيته صمم على الانتقام من الملكة فاستدعى ابن عم له يسمى قيصر وكان لفقره معاشراً للهمل وقطاع الطريق مع ما له من الحسب والنسب وأراد ان يتخذ آلة لدسائسه فاستكف من ذلك وردت ما عرضه عليه من المال والجاه فامر بنفيه للهند ففني اليها والبس خادمه روى بلاس لباس الاشراف ودعاه بابن عمه قيصر وقدمه لرجال الدولة واعيانها بعد ان استكتبه اوراقاً يعترف فيها باصله وخدمته له وكان روى بلاس يعشق الملكة فنقرب منها وحظي لديها بالقبول وصار من اعظم وزرائها واكبر مستشاريها وبينما هو حائر على رضا الملكة وعلى اعظم مسند في المملكة واذ ظهر له سيده واخذ يتهدد الملكة ويوبخها على هيامها في خادمه وعلى تقيطها بنفسها وطلب منها امضاء ورقة لينخذها حجة عليها ولا يبيح بسرها مادامت مسلمة له زمام الملك فكادت الملكة تقبل بذلك خوف الفضيحة والعار ولكن روى بلاس اشند غضبه حرصاً على شرف الملكة محبوبته وقتل سيده ثم شرب سماً وماتت الملكة تندب عليه وتبكي فلهذا محصل الرواية

وقال فيكتور هوغو في مقدمتها :

جمهور المتفرجين في المراسح على ثلاثة اصناف : احدهما النساء . والثاني الخواص . والثالث العوام . فالذي يتطلبه العوام من التاليف الدراماتيقي بدون استثناء تقريباً هو العمل<sup>(١)</sup> . والذي نتطلبه النساء قبل كل شيء هو الشهوة . والذي يتطلبه الخواص على الخصوص هو الاخلاق . فاذا امعنا النظر في هذه الاصناف الثلاثة من المتفرجين نجد العوام هائمين بالعمل لدرجة يتساهلون فيها عند اللزوم بالاخلاق والشهوات . ونجد النساء

(١) اي الفعل الذي يجري على المسرح من ضرب وقتل وقيام وقعود وحركة وسكون

مكتثرات بالعمل ايضاً ولكنهن مستغرقات بتفاصيل الشهوة حتى يقلّ اشتغالهن جداً بتصوير الاخلاق . ونجد الخواص يتلذذون بمشاهدة الاخلاق اي بمشاهدة الرجال احياء على المراسح ويتلقون الشهوة كأنها عارض طبيعي في التأليف الدراماتيقي ويحصل لهم انزعاج من العمل . والسبب في ذلك ان العوام انما يتطلبون في حضورهم المراسح الهيجان . والنساء يتطلبن الخلاجان . والخواص يتطلبون التفكير . والجميع ينبغي لذة ولكن اولئك يبعون لذة النظر . وهؤلاء يُردن لذة القلب . والآخرون يبعون لذة العقل . ومن ثمّ حصل في رواياتنا - اي روايات فيكتور هوغو - ثلاثة انواع مختلفة من التأليف . احدهما عامي سافل . والاخران رفيضان عاليان . ولكن في ثلاثتهم الكفاية لسد الاحتياج . فالعوام لهم الميودرام ( اي ما كان فيه انتقام وقتل وازلال وفضيحة ) والنساء لهم التراجيديا التي تشرح الشهوة . والخواص لهم الكوميديا التي تصور الاخلاق الانسانية . ربما يتداخل بعض هذه الثلاثة في بعض لان العوام ربما وجد فيهم من له شوق طبيعي لتطلب الجمال كما له ذوق في الاشياء التافهة ومن له هيام في التصورات والتخييلات البدئية كما له اقبال على الاشياء العادية المزدري بها . وكل واحد من خواص الادباء البالغين في الادب رتبة الكمال ينبغي ان يتصف بصفة المرأة من جهة الاحساس القلبي كما ان المرأة تتصف احياناً بصفة خواص الادباء المفكرين . فاذا امعنا النظر في اصناف المتفرجين الثلاثة نراه جميعاً محقين . فان النساء معهم حق في ابتغائهم خلاجان القلب . والخواص معهم حق في ابتغائهم التعلم والاستفادة . والعوام لا لوم عليهم في طلبهم التسلي . فمن هذا الشرح ينتج قانون الدرام . فالقصد من الدرام والغاية منه هو تصوير الاخلاق . اي اختلاق رجال وتمثيلهم على المسرح بمقتضى الشروط المؤلفة من صناعة الادب ومن الطبيعة . والقهاء الشهوات في هؤلاء الرجال لبيان اخلاقهم وايضاها . ثم استخراج الحياة الانسانية من تصادم هذه الاخلاق والشهوات بالنواميس الكبرى الالهية . اي استخراج وقائع كبيرة ، صغيرة ، مؤلمة ، مضحكة ، هائلة ، تشمل على لذة للقلب يسميها الناس المنفعة وعلى عبرة للعقل يسميها الناس محاسن الاخلاق . فيتضح من ذلك ان الدرام يخرج من التراجيديا بتصوير الشهوات ومن الكوميديا بتصوير الاخلاق والصفات . فالدرام هو الشكل الثالث الكبير من اشكال الصناعة الادبية ويشتمل على الاثنين الاولين ويجمعهما ويفصلها . فلولم يوجد شكسبير بين قورنيل ومولير ولم يعط يده اليسرى لقورنيل ويده اليمنى لمولير لبقى كل منهما بعيداً

عن الآخر . ولكن بوجوده التقت الكوميديا بالتراجيديا النقاء القطب المثبت بالقطب  
المنفي من الكهربائية . فصل من التفانها شرارة هي الدرام  
ثم انتقل فيكتور هوغو لبيان حقيقة الدرام بالنظر لفلسفة التاريخ فقال :  
اذا اقتربت مملكة من السقوط تمكن الناظر فيها من ملاحظة علائم كثيرة . ففي بادئ  
الامر تميل الاشراف للانحلال . وبانحلالها تنقسم على الوجه الاتي :

تضطرب المملكة وتنطفي السلالة المالكة . وتزول احكام القانون . وتنجذب الدسائس  
الوحدة السياسية فتمزقها شذر مذر . وتخد كبر العائلات وتنقرض . ويشعر الجميع في  
الداخل والخارج بضعف سميت . وتسقط عظام الامور التي تقوم عليها الدولة ولا تبقى واقفة  
الا على صغار الامور وحدها ويصبح منظرها العمومي مخزناً . ولا يبقى فيها لا ضابطة ولا  
عسكر ولا مالية . وكل واحد يحسب الساعة آتية لاريب فيها . فمن ذلك يحدث في جميع  
الاذهان كدر من البارح وخوف من الغد واحتراس من كل انسان ويأس من كل شيء  
ونفرة زائدة . وحيث ان مرض الدولة في رأسها فاعيان المملكة الذين هم اقرب الى الرأس  
يكونون اول المصابين بهذا المرض . فماذا يحدث حينئذ ؟ لا يبقى في قصر الملك من  
الاعيان المقربين الا الذين هم اقل حياءً واسوأ اخلاقاً وجميعهم على وشك الانقراض  
ويضيق الزمان وتنغي العجلة ويازم لهم الاستهلاك في جميع المال والارتقاء لأعلى المراتب  
والاستفادة من الحال الحاضرة . ولا يفكر الواحد منهم الا بنفسه . ويجمع بلا شفقة دلى  
الوطن ثروة قليلة خاصة به في قرنة من الفقر العام الكبير . ويصير نديماً ويصير وزيراً  
ويتهالك على الوصول للسعادة وانفاذ الكلمة وينفتق ذهنه باستحضار الاجوبة الظرفية  
ويناقض ويداهن ويلاطف فينجح . وكلهم يستحذون على مقامات الدولة ومناصبها وعلى  
وساماتها ورتبها والقابها واموالها . وياخذون الجميع . ويتطابون الجميع . وينهبون الجميع .  
ولا يعيش الواحد منهم الا بالحرص والطمع . ويخفون قلاقل المملكة واغتشاشاتها وسوء  
ادارتها الداخلية تحت مهابة ظاهرية . وتشره نفوسهم للعجب وتطاول اعناقهم للعظمة  
والكبرياء . وحيث كان الشرط الاول في حياة هؤلاء المقربين هو نسيان جميع الحواس  
الطبيعية فيصبح الواحد منهم كانه وحش مفترس . وهى جاء يوم سقوطه وابعاده عن  
مناصب الدولة صار مدهشاً عجيباً وانقلب ابليساً

فاذا يسست الدولة من حالتها اهدت عن مراكزها النصف الثاني من اعيان المملكة  
الذين هم اكرم نسباً واحسن جرثومة . فيلتهون بيوتهم ويدخلون قصورهم ويذهبون

لبلادهم ومعاقبتهم ومنصاتهم وينفرون من مصالح الدولة ولا يستطيعون تدبير أمر ولا يبدون حيلة لان المملكة قد حانت موتها ولم يبق في الايام الا ذمء . ( الدماء بقية الروح في المذبوح ) كيف العمل وماذا يجدي التحسر وما ينفع البكاء ؟ فينبغي التغافل واغراض العين وتسليمة النفس بالملاهي واللعب والاكل والشرب والنلذذ والتنعيم . من يعلم ؟ هل بقي للواحد منهم سنة او سنتان امامه ؟ فاذا تفوه سادة المملكة وكبرائها بذلك او شعروا به واحسوا بشيء منه فقط اقبوا على التهور في مصالحتهم والافراط في امورهم . فزادوا في مشترياتهم وفي حلي نسائهم وفي ضيافتهم وانقان مطابخهم وموائدهم واسرفوا وبذروا واهدوا وفرقوا وباعوا واشتروا ورهنوا واستدانوا وسلموا انفسهم لاكلي الربا واتلوا مداخيلهم واضرموا النار في الجوانب الاربعة من املاكهم . فيصبح الواحد منهم يوماً وقد حلت به المصيبة ونزل عليه البلاء وخرب هو قبل خراب المملكة رغماً عن سرعة سيرها نحو الانقراض . فينفذ ماله ويحترق كله ولا يبقى من تلك الحياة الزاهرة والطهي والبهجة ولا الدخان لانه طار ايضاً . ولم يبق الا الرماد ولا اكثر من ذلك . فيتركه جميع الناس وينسونه الا اصحاب الديون . فتصير حالة هذا الشريف المسكين الى ما يمكن ان تصير اليه . فيصبح بائساً سفيلاً من الرعاع ويدور مع الحمل ويختلط بجمهور العامة ويغيب بين افواجهم المزدحمة . ولم يكن خالط العوام قبل ذلك ولا رآهم الا على ابوابه واعتابه . فيغطس الآن بينهم ويلتجئ اليهم . ولم يبق معه نضار وانما بقيت له ( الشمس ) اي نضارة الحياة وهي ثروة من لا ثروة له . وبعد ان اقام في اعلى طبقات الجمعية فهو الآن يقيم في اسفل طبقاتها . ويدرب نفسه على الذل بعد العز . ويهزء بالذين اشتد بهم الحرص والطمع حتى نافقوا وتقربوا من اولي الامر وصاروا من الاغنياء النافذي الكلمة . واما هو فيصير فيلسوفاً لا يبالي بالاقبال والادبار ويشبه من حوله من رعاي الناس واوباشهم بحاشية القصر ورجال المعية ويتخذ منهم جماعة واخذاناً وبتراش عليهم ويراعي الخوة والشهامة في جانبهم . وعدا هذا فهو طيب العنصر جسور القلب منطور على النجابة والفتنة جمع في اخلاقه وخصاله بين ذوق الاديب الشاعر ودناءة الصعلوك الفقير وشهامة الرئيس الامير . لا يبالي بامر ويستخر من كل شيء ويشوق رفاقه واصحابه للسرقة كما كان يبعث برجاله واتباعه للنهب والغارة ولكنه لا يتنزل لان يسرق او يستعطي بنفسه . تراه رث الظاهر سليم الباطن ذا كرم وسخاء كالامير وتهور كتهور اليأس الفقير . لم يبق له من الاصلة الا شرف النسب الذي يحافظ عليه والاسم الذي يخفيه والسيف الذي يشهره

فبانان الصورتان اللتان رسمتاها ووصفنا بهما قسم المقربين وقسم البعدين من اشرف المملكة يوجدان في وقت من الاوقات في تاريخ جميع الممالك . ولكنها في اواخر القرن السابع عشر للميلاد وجدتا في اسبانيا بصورة جالبة للنظر . ولذا شخصنا في هذه الرواية التمثيلية القسم الاول من كبراء اسبانيا في الدون سالوست المقرب في قصر الملك والمنعم عليه والقسم الثاني في الدون قيصر ( سيزار ) الذي يرعى مع الحمل مع ان كلا منهما ابن عم للآخر . وعدا هذين الشخصين الذين يتمثل فيهما كبراء المملكة الاسبانية المقربين والبعدين يوجد تحتها شيء كبير مظلم تجهول يتموج في جنح الظلام . فهذا الشيء هو الشعب الذي له المستقبل وليس له الحاضر . فالشعب يتيم فقير ولكنه ذو قوة واستعداد وقابلية . يتطلب العلي وهو في الدرك الاسفل . وعلى ظهره علامة الخدمة والاستعباد وفي قلبه شوق للمعالي . الشعب خادم للسادة الكبراء . وعاشق وهو في الذل والشقاء للصورة الوحيدة التي تتلأأ له وسط هذه الجمعية المنقرضة كأنها نورالهي ويتمثل له فيها الخاكية والشفقة والنمو . فالشعب هو ( روى بلاس ) خادم الدون سالوست

فاذا تصورنا هؤلاء الاشخاص الثلاثة على الوجه المشروح فيقتضي احياءهم وتمثيتهم امام انظار المتفرجين وندير عليهم اعمالاً ثلاثة تلخص فيها جميع احوال المملكة الاسبانية في القرن السابع عشر . ويوجد فوق هؤلاء الرجال الثلاثة مخلوقة صافية نيرة . فهذه المخلوقة هي امرأة ومملكة . وهي في شقاء من حيث انها امرأة لانها لم يكن لها زوج . وهي في شقاء من حيث انها مملكة لانها كان لم يكن لها ملك . ومتعطفة على من تحتها بعاطفة ملكة وقلب امرأة . وناظرة للدرك الاسفل بينما ان روى بلاس الذي تتشخص فيه الامة ناظر للمقام الاعلى . فبقطع النظر عن الاشخاص الثانوية فهذه الرؤس الاربعة المجتمعة على هذا الوجه هي في نظر المؤرخ الفيلسوف النكات الاصلية لمملكة اسبانيا قبل ١٤٠ سنة . ويمكن لنا ان نضيف راساً خامساً لهذه الرؤس الاربعة وهو راس الملك شارل الثاني . ولكن شارل الثاني ملك اسبانيا لم يكن شخصاً بل هو في نظر التاريخ ظل ولذا بقي في الدرام ظلاً لم يبن شخصه

فما ذكرناه للآن انما هو بيان لحقيقة هذه الرواية وهي روى بلاس بالنظر لفلسفة التاريخ . ويمكننا النظر اليها باعتبار آخر . لان الاشياء في هذا العالم تختلف اشكالها باختلاف النظر اليها . ومثل ذلك كمثل الجبل الابيض . ان نظرت اليه من المحل المعروف باسم ( فروا دو فليشر ) تراه بهيئة غير الهيئة التي تراه فيها لو نظرت اليه من المحل المعروف

باسم ( سالانث ) • ومع ذلك فهو دائماً الجبل الابيض • وكذا الحال في هذا الدرام  
فانه يختلف شكله باختلاف النظر اليه • فلو نظرنا اليه باعتبار الانسانية المحضة لرأينا الدون  
سالوست يتشخص فيه حب الذات والاهتمام واشتغال السكر والتعرض • والدون سيزار  
بعكسه يتشخص فيه عدم المبالاة وعدم الاهتمام وراحة البال وعدم التعرض • وروى بلاس  
يتشخص فيه اندكاء والعشق واقترام الاخطار والمهالك • والمملكة يتشخص فيها الفضيلة  
المائلة للانتماء بسبب الملل وضيق الخلق

وأما باعتبار صناعة الادب فيجتمع في هذا التأليف الانواع الثلاثة من الروايات  
التمثيلية • الدون سالوست هو الدرام • والدون سيزار هو الكوميديا وروى بلاس هو  
التراجيديا • فالدرام يعقد العمل والكوميديا تشوشه والتراجيديا تحسمه •

فالموضوع الفلسفي لهذه الرواية هو تطالع الامة وتطلبها للمقامات العالية • والموضوع  
الانساني هو رجل يحب امرأة • والموضوع الدراماتيقي اي الفاجع أو الهائل هو محبة  
خادم للملكة • فجمهور العوام لا يرون الا الموضوع الاخير اي الدراماتيقي الذي هو  
الخادم • والحق معهم • وهكذا يقال في كل تأليف من هذا القبيل • فترتوف يضحك  
منه واحد ويرهب منه آخر • فان ترتوف حية تسعى في البيت • فهو المرأى بعينه • فيكون  
تارة انساناً وتارة معق • واوتلو هو في نظر البعض اسود يجب بيضاء • وفي نظر البعض  
الأخر هو وضع تزوج بشريفة وفي نظر الآخرين هو غيور او هو الغيرة على النساء  
ثم ان هذه الرواية لها تعلق من جهة المعنى التاريخي برواية ايرناني • فان حالة الكبراء  
في الروايتين تظهر بجانب حالة المملكة • ففي ايرناني لم تكن اسبانيا اكتسبت شكل  
الحكومة المطلقة ولذا كان الكبراء ينازعون الملك في الامر ويقوون عليه تارة بالنفوذ  
وتارة بالسيوف ويخرجون عليه مرة ويطيغونه أخرى — كما كان الحال في المملكة  
العثمانية على عهد الجزائر صاحب عكا وباشاوات مصر وبكوات تونس ودالات الجزائر  
وبقية الامراء الذين يقال لهم دره بك — ففي سنة ١٥١٩ م كان الكبراء في اسبانيا  
يتعدون عن قصر الملك ويقومون في الجبال وفي المعقل والحصون • ويكونون تارة من  
قطاع الطريق مثل ايرناني وتارة من الامراء المستقلين في ادارتهم الداخلية مثل  
روى غومز كما فصلت احوالهم في تلك الرواية • ثم بعد مائة سنة من ذلك التاريخ انقلبت  
القضية فصار الكبير الذي كان اشبه بالاستقل في ادارته رجلاً من رجال المعية ينافق لينفق  
وبالعص الآخر من الكبراء سقطوا في الفقر والمذلة فهم يخفون اسماءهم لا لتخلص من

سطوة الملك بل للتماس من اصحاب الديون والحاخاهم • فالواحد منهم لا يصير قاطع طريق بل يصير نورياً أي من الرعاع • فيرى من ذلك ان الحكومة المطلقة صرت عن هؤلاء الكبراء اعواماً كثيرة فاحنت رأس هذا وقطعت رأس ذاك

ثم ان بين رواية ايرناني ورواية روى بلاس مضي على اسبانيا قرنان من الدهر حكم اخلاف شارلكين في غضونهما الدنيا • وكان من الحكمة الالهية عدم زيادة ساعة ولا تنقيص ساعة في هذين القرنين • لان شارلكين ولد سنة ١٥٠٠ م وشارل الثاني مات سنة ١٧٠٠ م ففي سنة ١٧٠٠ م وورث لويس الرابع عشر شارلكين كما وورث نابوليون سنة ١٨٠٠ م لويس الرابع عشر • فالمؤلف عطف انظاره نحو التاريخ ونحو ظهور هذه الدول المعظمة فيه وملا رواية ايرناني بضيء الفجر ورواية روى بلاس بظلام الشفق • ففي ايرناني اشرفت شمس آل اوستريا • وفي روى بلاس غربت باريس في ٢٥ نوفمبر سنة ١٨٣٨ م • انتهى

فيتضح من هذه المقدمة ارغماً عما فيها من ركافة الترجمة لعدم تنقيحها بسبب ضيق الوقت لحقيقة الروايات التمثيلية وكيفية تشخيصها للاخلاق الانسانية وتصويرها الوقائع التاريخية كما يظهر الفرق بين انواع الروايات من درام وكوميديا وتراجيديا • فان تأليف الروايات له شروط وقواعد واساليب كما ان له غاية ومقصدًا • ويتضح من ذلك ايضاً وجه اعتراض الافرنج على المقامات الحريرية التي هي اشبه بالكوميديا • ولعل ادبنا ينهجون هذا المنهج الجديد في التأليفات الادبية ولا يقفون عند حد القصيد والرجز او الرسائل والمقامات والخطب فان القرن العشرين مفقود الى تصوير الاخلاق الشرقية بأسلوب الروايات التمثيلية ومحتاج الى درس تاريخ الامم الشرقية درساً مدققاً ومعرفة خصال كل رجل من مشاهير رجاله كصلاح الدين وموسى بن نصير وامثالهما • ونظم الكونت دوليسل وهو خليفة فيكتور هوغو والمنتخب عوضاً له في الاكاديمية قصيدة غراء سماها موسى الكبير وصور فيها محاكمة موسى بن نصير ووقوفه بين يدي الخليفة الاموي ومدافعة عما اتهم به كما ان عبد الحق حامد بك ألف باللسان العثماني رواية طارق بن زياد وهي نثرية تمثيلية وفيها اشعار بديعة

٤ - الملك يتسلي

صور فيها المؤلف فرانسوا الاول ملك فرانسوا ومجنونه تريبوله • لان الملوك كان لهم مجانين ومهرجون ومضحكون واقزام قصار القامة ومسخر • ولم يزل يشاهد اثرهم

وبقيتهم في بلاد الشرق • ولعهد قريب كان لولاية في بلادنا مساحر ومضحكون يسمونهم المهرج والسوطري ولم يزل منهم من هو حي ليومنا • واما في اوروبا فاعتاضوا عن جميع ذلك بالمراسح وتفتنوا في تنويعها • فجعل المؤلف فرانسوا الملك المتكبر الحيار وتريبوله المجنون المضحك الهزئة على طرفي نقيض في مسرح اللعب • ولكن تريبوله مع ما هو عليه من دناءة النفس والتناصص كان ابا حنوناً شفوفاً على اولاده • فكانت له خصلة حسنة من جهة الابوة وقد قام بحقها احسن قيام واظهر احساسه الابوي على بنته حينما اراد الملك ان يقع بها للتسلية

### • - لوكريس بورجيا

بورجيا عائلة اسبانية الاصل انتخب منها باباوات اشهرهم البابا اسكندر السادس وصار لهذه العائلة نفوذ عظيم في رومية وايطاليا وجميع العالم الكاثوليكي • وكان للبابا اسكندر السادس اولاد منهم قيصر بورجيا المشهور بارتكاب الافعال الدنيئة والجنائيات الفظيعة وكان اسقفاً وله اخت تسمى لوكريس بورجيا

فموضوع الرواية ان خمسة شبان من اولاد الكبراء اجتمعوا في البندقية ( فينيسيا ) في مرقص تستر فيه الراقصون والراقصات بالبراقع ثم جالس هؤلاء الاصحاب يتسامرون وافضى بهم الحديث الى ذكر الفضائح وتعداد الجنائيات التي ارتكبتها عائلة بورجيا • وكان احدهم القبطان جينارو نام على حديقهم ثم استفاق على قبلة قبلته اياها في جيبته امرأة مستترة بالبرقع لم يعرفها • فهذه المرأة هي امه لوكريس بورجيا وسمعت قذف اولئك الشبان في حقها وحق عائلتها • ولم يكتف الشبان بالكلام بل مروا بسباب دار زوجها الدوق دوفيرار ومعهم جينارو فتطاول على تاج الدوقية المرسوم على بابه وطعن في لوكريس بورجيا وفي اخيها وابيها • فامر الدوق بالقاء القبض عليه وحبسه وطلبت زوجته قتله ثم لما علمت بانه ولدها طلبت العفو عنه • فاغتاش الدوق دوفيرار من ذلك وظنه واحداً من عشاقها واجبرها على سقيه السم • وبعد خروج زوجها من البيت سقت ولدها المسموم ترياقاً نافعاً ضد السم فشفي وفتحت له الباب وهربته وهو لا يدري بانها امه ثم ارادت الانتقام من رفاقه الخمسة الذين طعنوا فيها في مرقص البندقية • فاحتالت في دعوتهم عند الاميرة تعرفوني وفي سقيهم السم القاتل وبينما هم منهمكون في اللذات على المائدة ومتنعمون بنعيم الضيافة واذا سمع النواح ودخل الرهبان باثواب الماتم وخلفهم خمس توابيت حمل الموتى • وظهرت لوكريس بورجيا على المسرح شامته في

اعدائها الخمسة الذين قذفوا في عرضها والسم يدور في بدنهم ولا يمهلهم الا برهة قليلة \*  
ولكن جينارو لحق برفاقه وأراد الموت معهم وشرب من كأسهم ورفض من أمه الترياق  
الذي ناولته اياه لتتقذه من السم وطعمها بخنجره وهو لا يدري بأنها أمه فقالت له حينئذ  
لوكريس بورجيا ( انا أمك ) وختمت الرواية بموتهم جميعاً \* ومراد المؤلف من هذه  
الرواية بيان ان اشقى النفوس واطلمها واطغهاها قد تتجمل باحساس كلاحساس  
الناسي من محبة الوالدة لولدها

## ٦ - توركاذه

وهي من روايات التمثيلية التاريخية \* اما توماس توركاذه فهو رئيس محاكم التفتيش  
الديني في اسبانيا \* وقد اشتهرت هذه المحاكم بالظلم والعدوان والتعذيب بأنواع آلات  
العذاب كالضرب الشديد وشد الممذيين بالمشدات حتى تتخلخل عظامهم وتنف شعورهم  
وبالسهم الطاسات المحمية ووضعهم في صناديق مسمرة حتى اذا تحرك الموضوع فيها دخل  
المسار في بدنه ومزق جلده ولحمه وغير ذلك من انواع العذاب والاحراق بالنار او  
التعريق في الانهار والبحار \* وعرفت هذه المحاكم باسم ( انكيزيسيون ) وكان أول  
تأسيسها في قشتاله وارانغون من اسبانيا لحاكمة المسلمين واليهود والمشكوك في ايمانهم من  
النصارى الذين يتساهلون بفرائض الدين الكاثوليكي وتوفي توركاذه سنة ١٤٩٨ م اي  
عقب اخراج المسلمين من اسبانيا \*

## ٧ - بورغراف

وهي من الروايات التمثيلية ايضاً \* وهذا الاسم يطلق على ذوي الآراء السخيفة  
لا سيما في المسائل السياسية \* والبورغراف هم أمراء البلاد ومحافظو القلاع كما كان  
الجزار في عكا وابونبوت في يافه ولم يزل له في يافه سبيل ينسب اليه \* وروى عن  
هؤلاء الولاة والامراء الروايات الغربية والاقاصيص العجيبة \* فصور فيكتور هوكو في  
رواية بورغراف اخلاق أمراء الالمان وغرائب احوالهم

٨ - ماري تيد - وهي ملكة الانكليز ( ١٥١٦ - ١٥٥٣ م ) بنت هانري  
الثامن \* وكانت مخالفة للإصلاحات والنظامات الجديدة شأن المستبدين من الملوك \*  
قالف الشاعر فيها هذه الرواية

٩ - أنجلو \* اسم ملك ظالم من ملوك بادو في ايطاليا اتخذ الشاعر

موضوعاً لروايته

- ١٠ — ماريون دولورم • غانية من غواني باريس كانت على عهد لويس الثالث عشر والكردينال ريشيليو الوزير الشهير فصورها الشاعر في روايته
- ١١ — اسم والده • اسم نوريه في باريس ولعلها من الاشخاص الموهومة واتخذها المؤلف عروساً لهذه الرواية التمثيلية ولقصة ( نوتردام دو بارى )
- ١٢ — امى روبسار
- فهذا ما ألفه فيكتور هوغو في الروايات التمثيلية وسماه درام • واكثر هذه الروايات منظوم ومنها ما هو نثر

### نثر فيكتور هوغو

المنثور من كلام فيكتور هوغو على فنون كثيرة منها فن القصص المعبر عنها بالرومان ومنها الادب والفلسفة والانتقاد الادبي والتاريخ والرحلة والمراسلات والاقوال والاعمال والمشهودات ونحو ذلك

١ — فاشهر القصص التي ألفها هي قصة البؤساء • وذكرنا فيما سبق ان العلامة الفاضل شمس الدين سامي بك الفراشري — وفراشري قرية في ولاية يانيه من بلاد الارناؤد — ترجم جزءاً كبيراً من هذه القصة لسان العثماني وسماه السفلاء ونشره بمطبعة مهران في الاستانة • ولسامي بك تأليف كبيرة مفيدة مثل قاموس الاعلام في ست مجلدات ضخمة وقواميس صغيرة وكبيرة من التركية للفرنساوية ومن الفرنسية للتركية وغير ذلك من المؤلفات النافعة العصرية

أما الباحث على تأليف هذا الكتاب فهو ما ذكره المؤلف في مقدمته حيث قال : طالما وجد عذاب اجتماعي بفعل القوانين والعادات ، طالما لم تحلّ الثلاث المسائل العصرية وهي الحظ من كرامة الانسان بكثرة البؤساء وسقوط المرأة في العهر بسبب الجوع وفقر دم الاولاد باشتداد برد الليل ، طالما وجد في الناس جهالة وفقر فالكتب التي هي من جنس هذا الكتاب لا تخلو من الفائدة •••••

وموضوع الكتاب ان رجلاً فقيراً يدعى جان فاجان كسر قفل الحجاز وسرق رغيفاً ليطعمه لاولاد أخته الجياع فحكمت عليه المحكمة وفقاً للقوانين بالاشغال الشاقة وألقي

في الحبس الذي هو جهنم الهيئة الاجتماعية ولاقى من الآلام والمحن ما لاقاه على زعم  
النصارى المسيح بن صريم عليهما السلام مخليصاً للبشر من الخطايا . فكان جان فليجان  
فداءً للاخلاق الانسانية . وبمد تحمله الآلام والمشاق الكثيرة صعد الى النور . وكان  
الاسقف ميريل وهو من اشخاص هذه القصة وعظ هذا الجاني بالصبر على المصيبة  
ووضع في نفسه المظلمة شعاعاً طفيفاً فاستنارت ثم توقدت وتوهجت فصور الشاعر ما اختلج  
في صدر هذا المحكوم عليه من الهيجان وعبر عن ذلك بمحدث زوبعة عاصفة في قرعة  
الرأس . ومن اشخاص هذه القصة وابطالها البنت فوزيت والبوليس جافر وبين حالة  
العملة والشغال الذين يلجئهم الفقر والجوع الى ارتكاب القبائح والجرائم وحالة البنات  
الشغالات اللواتي صيرتهن المتربه من العواهر الفاجرات وصور الفقر المدقع والجوع  
القتال أحسن تصوير . وفي هذه القصة أيضاً أخبار كافروش وهو من رعاع باريس  
وما جرى له مع البوليس جافر وقد اشتهر خبرها حتى ضرب بهما المثل . ومما ذكره  
المؤلف بطريق العرض في هذه القصة محاربة واترلو التي غنمها نابوليون الاول ووصفها  
بكلام نثري اشبه بالشعر الحماسي . وذكر أيضاً الفتنة التي حدثت في باريس سنة ١٨٣٢  
أما البوليس جافر فعمله مثلاً للطاعة والقيام باعباء الوظيفة

٢ — نوتردام دو بارى . وهي كنيسة باريس الجامعة سمي بها قصته لجريان  
حوادثها في هذه الكنيسة وفي أطرافها . وهي بنيان ضخم غليظ في وسط باريس بقرب  
نظارة الضبطية ونظارة العدلية أو الحفانية . وموضوع القصة عبارة عن عشق ضابط  
فرنساوي يدعى فوبوس لرقاصة ثورية تدعى اسميرالده ورقاية راهب الكنيسة لهما  
وخطف أحد الاشقياء المدعو كازيمودو للبنت . فالموضوع بسيط عادي ومهارة المؤلف  
تظهر في تصوير الحالة التي كانت عليها باريس في القرون الوسطى ووصف ما فيها من  
الازقة المظلمة والطرق الغير المستقيمة ووصف أهلها ما بين بائع وتاجر وصانع وتلميذ  
وجندي وشريف ووضع وهم يمرون أمام الكنيسة أفواجاً أفواجاً ويروحون  
ويغدون في فئاتها ويستظلون بظلالها وصور جميع ذلك بصورة خيالية وهمية لطيفة  
تعجب القارئين وهي مؤلفة على أسلوب اللغة الرومانية

٣ — هان الاسلاندي . وهي قصة مصورة للجمال الذي قد يكون في الشنيع .  
كما صور نعمة الوالدة لولدها وتهافتها على انقاذه من تخالب الموت في رواية لو كريس بورجيا  
رغماً عن قساوة اخلاقها وسوء افعالها . وكما صور هذا المؤلف أيضاً في رواية الملك تسلي

اشفاق الوالد على بنته وغيرته على ناموسها وسعيه في تخليصها من ايدي الملك مع ان هذا الوالد لا يغار على ناموس نفسه ولا على شرفها ولا يبالي في ارتكاب انواع الدناءة والمجون . ومن بديع الحكم التي في قصة هان الاسلاندي مذكوره في مقدمتها عن ( نُضج القرية ) قال :

في كل مُصنّف فكري مثل الدرّام والشعر والرومان ثلاثة اشياء : ما شعر به المُوَلّف ، وما نظر فيه المُوَلّف ، وما تنبأ به المُوَلّف . فليكون الرومان ( القصة ) حسناً ينبغي ان يكون فيه كثير مما شعر به وكثير مما نظر فيه . واما الشيء المتنبأ به فيلزم ان يظهر من تمام الشيء الذي شعر به والشيء الذي نظر فيه بغير احتياج للحلّ وانما بالطبع والبداهة فاذا انقضى الفصل الاول من العمر وانحنت الجبهة على الكتاب والكتابة وشعر المرء باحتياجه لعمل شيء آخر خلاف الحكايات الغريبة التي يخوف بها النساء العجائز والاولاد الصغار واحتك بالحياة احتكاً كما اخلق ديباج شبابه ، يعلم حينئذ ان كل ايجاد وكل اختلاق وكل تنبؤ في هذه الصناعة ينبغي ان يكون اساسه مبنياً على الدرس والنظر والتفكير والعلم والقياس والمقابلة والتعقل الصحيح وكال الدقة في تصوير الاشياء بحسب الطبيعة ونقدها نقداً خالياً من الغرض والهوى . فالالهام الحاصل من مراعاة هذه الشروط الجديدة لا يضيع شيئاً من هذه الصناعة الادبية وانما يكسب صاحبها نفساً عالياً وجناحاً قوياً ويُعرّف الشاعر بالطريق التي يسلكها حينئذ . وجميع التخيلات الهوائية التي تخيلها في سني حياته الاولى تجمد على هيئة مخصوصة كما يجمد الجليد ويتشكل منها فكرة وراي . فهذا الدور الثاني من حياة المصنّف المتفنن هو الزمن الذي يُوَلّف فيه احسن مصنّفاته ويكون فيه شاباً نضيج الراي . فهذه هي الصحيفة الثمينة والنقطة العليا التي هي الاوج والساعة التي يشتد فيها الحر والضياء من وسط النهار واللحظة التي يقل فيها الظل الى اقل ما يمكن ويكثر فيها النور الى اكثر ما يمكن . . . . . اه

٤ — بوغ جارغال . حرر فيكتور هوغو هذه القصة وهو في السادسة عشرة من عمره وطبعها ثم صححها واعاد طبعها . وموضوعها انه في سنة ١٧٩١ اي في اثناء الانقلاب الكبير الفرنسي كان في جزيرة سن دومينيك من جزر الانتيل الاميركانية عبد اسود يسمى بييرو يخدم عند اوربي من اغنياء المستعمرين فاحب ابنته مارية حباً شديداً وكانت بديعة الحسن والجمال ولها خطيب فاخفى العبد حبها ولم يبح لها بشيء ولكنها كانت تلاحظ حنوه واشفاقه عليها وخطيبها كان يرى ذلك ويعجب من جرّاته على تحبة خطيبته . ثم

حصلت ثورة العبيد السودان على المستميرين من البيضان وفي اثناء معامع الثورة خطف احد السودانين مارية وذهب بها الى مكان بعيد فخرج خطيبها يفتش عنها فقبض عليه الثائرون وارادوا قتله واحضروه بين يدي بيرو وكان انتخب بوع جارغال اي رئيساً للثائرين فحماه من شرهم وجمع بينه وبين خطيبته مارية . ثم ان بوع جارغال ضحى نفسه لسلامة معشوقته وخطيبها وتخليصهما من ايدي العبيد الثائرين وسلم نفسه لاعدائه البيضان ليقتلوه واداه حبه الى فداء روحه في سبيل محبوبته . ومن هذه القصة يظهر اقتدار المؤلف في تصوير الوقائع مع حداثة سنه

٥ - آخر ايام المحكوم عليه بالقتل . الف فيكتور هو كوهذه القصة سنة ١٨٢٩ وصور فيها المحكوم عليه بالاعدام وهو في سجنه ينتظر حلول الساعة التي ينقضي فيها اجله وتزهق روحه . وعبر باسلوب بديع عن بكائه واضطرابه وانزعاجه وبين جميع ذلك باساليب شعرية لا وصفية فقط . فكان المؤلف كأنه يشاهد جميع حركات هذا المسكين وارتجافه واختلاج عضلاته اختلاجاً طبيعياً لكسر سلاسل الحديد التي برجليه والجلل المربوط بيديه وكأنه يفهم مايقوم في ذهنه ويخطر في باله من الافكار المرعبة والتصورات المائلة المدهشة فحرر جميع ذلك بكيفية مؤثرة محزنة يكاد القارىء يجن من تلاوتها . ففيكتور هو كو اجهد نفسه كثيراً في ابطال الجزاء بقتل النفس وسعى في الغاء هذا الجزاء بقلمه ولسانه وخطب في هذا الموضوع خطباً كثيرة في مجلس النواب وفي النوادي والمجتمعات ولكنه لم يتوفى لرفع جزاء القتل من القانون الفرنسي

٦ - المشتغلون بالبحر . ومقدمتها تبحث عن ارخبيل بحر المانش الفاصل بين فرانس وانكلترة . فصور المؤلف في هذه القصة ما يكابده الملاحون والنوتية من العذاب الاليم وما يقاسونه من الاهوال والشدائد عند تخالف الهواء وحصول الانواء وتلاطم الامواج وانكسار السفن واشراف من فيها على الهلاك ووقوعهم فريسة لحيوانات البحر ومنها الحيتان الكبيرة ومنها ما يلتف على الانسان كما يلتف الحبل ويشد وثاقه شداً محكماً حتى لا يستطيع حراً كما ثم بعض بدنه كالعنقة ويمتص جميع دمه ويسمى هذا الحيوان البحري ( Pieuvre ) هبراو ( ربيله ) . ومن البلاء الذي يقع فيه الفلاحون وصيادو السمك أيضاً رمال المستنقعات التي على سواحل البحار يحسبها الواحد منهم أرضاً يابسة فاذا وطئها غاصت رجلاه في الرمال وكلما تحرك حركة للتخلص منها زاد غطساً فيها الى رأسه ويستمر في هذا العذاب الاليم وهو يشاهد الموت بعينه ولا سبيل للنجاة حتى

بمرق ويموت خنقاً • فوصف الشاعر مجاهدة المشتغلين بالبحر من افراد الانسان والمعتك الذي يحصل بينهم وبين الطبيعة أم وصف مما يذكركنا بقصة السندباد البحري وما لاقاه في اسفاره

٧ — الانسان الضاحك • ألف فيكتور هوغو هذه القصة سنة ١٨٦٩ وجعل حوادثها تجري في انكلتره على عهد ملكتها حنه (آن) المعاصرة للويس الرابع عشر في أوائل القرن الثامن عشر للميلاد • وموضوع القصة ان أحد مرقعي الدب كان يتجول في جنوب انكلتره ومعه دب سماه هومو ومركبة يسكن فيها ويجر ابقاله عليها كما يفعل مرقصو الدب ليومنا هذا في اوروبا ولم يزل منهم في جنوب فرانسوا وأكثرهم عثمانيون من أهل البوسنه والهرسنك يحملون الباسابورط ويحتمون بقناصل الدولة العلية • فكان هذا الرجل يرتص دبه أمام الجمهور ويضحكهم ويسلمهم ويعتاش من احساناتهم وعظاياهم وكان صافي النية حسن الطوية مع كونه هزءة ومسخرة للناس • فالتقى ذات يوم بصبي مشوه الخلقه يحسبه الناظر اليه ضاحكاً على الدوام وكان هذا الصبي اختطفه سارقو الاولاد فشوهوا خلقته وتركوه وحده في البراري فالتقى بنت حسنة الوجه ولكنها عمياء كانت خرجت مع أمها فنزل الثلج عليهم وماتت أمها من شدة البرد فاصطحب الصبي بالبنت وأحبها • ثم ان ذلك الرجل التقى بهما وتبناهما وحملهما معه في مركبته وطاف بهما البلاد وهو يسترزق من حرفته ويطعمهما ولم يزل على ذلك الى ان كبرا وبلغا أشدهما • فذهب بهما الرجل يوماً الى لوندرا فتعرف أناس على الشاب واخبروه بانه هو ابن البارون فلانشارلي من أعيان انكلتره ولورداتها فاستلم هذا الانسان الضاحك ثروة ابيه وما ملكه وصار عضواً في مجلس اللوردات بعد تلك السفالة التي قضاه في سني صبوته وصار لا يتكلم في المجلس الا بالمحاماة عن البؤساء والتقريع على الاعيان والكبراء الذين لا ينظرون الى الضعفاء والمساكين وكان ذا لهجة شديدة ولكنها غير منتظمة فكان اذا أم خطبته استولى الضحك على جميع الاعضاء ولم يقرروا اجراء شيء من طلباته

وأورد المصنف في هذه القصة كثيراً من الحكم والفاسفة من ذلك ما قاله عن الطبيعة والحياة : •••••••••• بعد كل شيء فالانسان لا يعيش كثيراً والحياة قصيرة تمضي بسرعة • كلاً ! بل هي طويلة !! لان الطبيعة اظهرت — ولو بشيء قليل — غنايتها بالانسان لكيلا تفر همتنا في غضون ذلك وايكون على بصراً غشاوة فترضى بالبقاء ولا

نفتّم الفرص المناسبة لشئق أنفسنا بما أعدته لنا من الحبال والمسامير • ولذا أنبتت لنا  
القمح وانضجت العنب وانطلقت البلايل وهي مرآية بانشادها أغاني السرور واخفائها  
الكمد • وارتنافي بعض الأحيان شعاعاً من الفجر فهذا ما يسمونه بالسعادة • وما هي الا  
طرف رقيق من الخير يحيط بكفن عريض من الشر • فهذا حفظنا من الدنيا نسج  
الشیطان منه السداة واللحمة ولم يطرز الرحمن فيه الا اطرافه وحواشيه • اه

قال المعري مخاطباً الدنيا :

يموج بحرك والاهواء غالبه	لراكيه فهل للسفن ارساء
اذا تعاطفت يوماً كنت قاسية	وان نظرت بعين فبهي شوساء
• • • • •	• • • • •
فلا تغرنك شم من جبالهم	وعزة في زمان الملك نساء
نالوا قليلاً من اللذات وارتحلوا	برغمهم فاذا النعماء بأساء

٨ — ثلاث وتسعون • سباه بذلك لانه بحث فيه عن وقائع سنة ١٧٩٣ وقص  
فيه قصصاً حكيمية فلسفية موضحه لحقيقة الانقلاب الكبير الفرنسي والسبب الحامل  
لاصحابه على الثورة ومقاومة بعض الاهالي للتأثرين لعدم فهمهم المراد من الانقلاب ومن  
الاصلاحات الجديدة ولاعتقادهم ان الملك قوة الهية مفوضة للملك يفعل بمقتضاها  
ما يشاء برعيته فهم عبيده يتصرف بهم تصرف الملك في ملكه • فين المؤلف ذلك  
باساليب بديعة يفهمها العوام والفلاحون وعرفهم بأن القوة الحاكمة ينبغي ان تكون في  
الامة وان سيد القوم يجب ان يكون خادمهم

وأما ما ألفه في التاريخ فهو :

١ • — نابوليون الصغير • كتبه المصنف بعد لبس نابوليون الثالث تاج  
الامبراطورية وكان هو يستشيط من ذلك غضباً قههور في الطعن فيه والحط عليه ولما  
طبع الكتاب جاء أحد المتبصحين بنسخة منه للامبراطور وكان في قصر سن كلو وهو  
في ضواحي باريس على نهر السين فنظر فيه طويلاً ثم التفت لمن حوله من الوزراء  
وأمرء العسكرية وقال لهم باستهزاء وسخرية انظروا ياسادة هذا نابوليون الصغير ألفه  
فيكتور هوغو الكبير • فلما بلغ الخبر مسامع فيكتور هوغو هجاه بقصيدة بليغة لم أر لها  
مثيلاً في شعر أهل العصر الا قصيدة كال بك كبير الشعراء عند الاتراك

٢ • — تاريخ جرم • وهو تاريخ حادثة نابوليون الثالث سنة ١٨٥١ ألفه المصنف في خمسة أشهر ولم ينشر الا بعد ٢٥ سنة حينما سقط نابوليون الثالث ويقسم هذا التاريخ الى اربعة ايام : يوم المكيدة والكمين • يوم الحرب والنزال • يوم الذبح وقتل الاطفال • يوم الفوز بالنصر • ثم اتبعه بفصل خامس عنوانه يوم السقوط • فوضح المؤرخ في هذا التاريخ صورة الجرم ثم بين القصاص واستنتج من ذلك وظيفة الفرسان وبين وهي العدل والحق

« الرين » وهو عنوان كتاب صنفه فيكتور هوغو في الرحلة والسياحة وحرر فيه ما وجدته في نفسه من التأثر والاحساس الباطني والانفعال بمشاهدة ضفاف الرين وهو نهر في اوروبا ينبع من جبال الالب ويمر من بحيرة قونستانس ومدينة بال ومايانس وقوبلنتس وقولونيا واوترخت وليدن ويصب في بحر الشمال ومما قاله في هذا التأليف عن الضمير والكائنات :

••• لاشيء في يعارض كون الشجرة عالمة بثمرتها • ولكن من المحقق ان الانسان لا علم له بالمقدرة عليه • حياة الانسان وعقله هما على خاطر وكيف لا أدري أي ماكنة مظلمة يسميها البعض عنايةً اهلوية والبعض الآخر يسميها صدفةً • فهذه الماكنة أو الآلهة تخلط وتمزج وتحال كل شيء في الوجود • وهي تخفي دواليها في الظلمات وتعرض نتائج محصولاتها في رابعة النهار • يحسب المرء نفسه يفعل شيئاً وهو يفعل شيئاً آخر • فالتاريخ مملوءٌ بذلك •••••

ولكن بين هذا الاختباط يوجد قوانين • فالاختباط ماهو الا في الظاهر والانتظام في الباطن • فبعد انقضاء مدة طويلة ترجع الحوادث المدهشة التي فتحت عيون اجدادنا كما ترجع النجوم ذوات الاذنان من اعماق التاريخ المظلمة • فالفخاخ هي دائماً تلك الفخاخ بعينها والسقوط دائماً عين ذاك السقوط • والغدر دائماً عين ذاك الغدر • والمهلك هي دائماً تلك المهالك بعينها • فالاسماء تتغير والاشياء ثابتة على ما هي عليه

أما ما حرره فيكتور هوغو في الفلسفة فهو :

١ • — أدب وفلسفة ممزوج بعضها ببعض • وقد ذكرنا من هذا الكتاب فيما سبق تعريف الشعر وبانه لا يكفي وجود الاسلوب الحسن والشكل الظريف في البيت

بل ينبغي ان يحتوي علي فكر أو صورة أو احساس وشبه بيت الشعر بيت النحل الذي  
يتخذ من الشمع والشعر فيه كالمسل  
وقال ايضاً في تعريف الانشاء :

الانشاء هو الذي يخلد ذكر الشاعر ويبقى تأليفه • لان حلاوة التعبير تزين الفكر  
كالميناء على السن

وقال في تعريف الواجب :

ما دام الممكن لم يفعل فالواجب لم يؤد • فهذا فكر من افكاره  
ومنها ايضاً في الزواج :

الزواج هو تطعيم فيه امساك جيد او ردىء  
وقال في التغير والتقلب :

اذا قلنا عن رجل « رايه السياسي لم يتغير منذ اربعين سنة » نكون مدحناه مدحاً  
مذموماً • لان قولنا هذا يؤدي الى انه لم يحصل له تجربة في المسائل اليومية ولا حصل  
لفكره انعكاس ولا اشماع على الحوادث • فهذا من قبيل مدحنا الماء بكونه راكداً  
والشجرة بكونها ميتة • وتفضيلنا ما في الصدف من سمك البحر على النسر الطائر •  
فبالعكس كل شيء متغير في الراي • وفي الاشياء السياسية لا شيء مطلق على اطلاقه الا  
الاخلاق الباطنية لتلك الاشياء • فهذه الاخلاق هي من خصائص الوجدان وليست من  
خصائص الراي ومرتبطاته • فراي الرجل يمكن حينئذ ان يتغير تغيراً لا يمس بشرفه  
بشرط ان لا يتغير وجدانه • فالحركة سوائه كانت تقدمية او تأخرية هي في حد ذاتها  
حيوية ، انسانية ، اجتماعية • « اه

وهكذا يقال في صاحب الجريدة كما يقال في رجل السياسة • وقد رأينا في ما تقدم  
ان رقباء فيكتور هوغو عابوا عليه تقبله في احزاب السياسة وتغير رايه من الملكية الى  
الامبراطورية الى الجمهورية

٢ • — • وليم شكسبير • ومما ورد له في هذا التأليف من الحكم ما ذكره عن  
التقدم والترقي • قال :

ففاظظة التقدم تدعى انقلابات • فاذا تمت الانقلابات اعترف الانسان بما يأتي وهو :  
ان النوع الانساني تألم وترضض ولكنه مشي  
فالتخريب هو الشغل والتعمير هو العمل ( اي البناء كما في بناء الدار فان فيها تعميراً

مثل رفع الجدران الجديدة وتخريب مثل هدم الجدران القديم وحفر الاسس ، فالتقدم يهدم باليد اليسرى ، وأما باليد اليمنى فهو يعمد . فاليد اليسرى تسمى القوة واليد اليمنى تسمى العقل . اهـ

ففيما ذكر من مؤلفات فيكتور هوغو كفاية لمعرفة ماهيتها ولا حاجة لذكر بقيةها

### الخاتمة

لا ريب في ان فيكتور هوغو من اكبر الشعراء الذين نبغوا في العالم الانساني كله في قديم الزمان وحديثه . وهو عند فرنسا وبين شيخ الطريقة الرومانية والشعر الغرامي المعروف باسم ( ليريك ) . كما انه من حفول القصاصين ومؤلفي الروايات التمثيلية المشهورة باسم ( درام ) . غير ان الطريقة الرومانية التي كان لها المقام الاول في صناعة الادب سقطت بظهور الطريقة الحقيقية التي أمامها اميل زولا . وروايات فيكتور هوغو التمثيلية لم تبلغ درجة الاعجاز لابلنظر الى المؤلفات السابقة عليها ولا الى المؤلفات اللاحقة لها من هذا النوع . لعدم كشف فيكتور هوغو اسرار القلب الانساني واظهار ما فيه من الاحساس الحقيقي . ومع ذلك فهو لم يزل امام الشعر الغرامي ومجدد اساليب النظم والنثر ولذا لقبوه بأبي الشعر العصري واقبى الشعراء اثره وسلكوا مسلكه . وكان الباعث على شهرته في العالم المتمدن كله من اوروبي واميركي ومايلحق بهما ثلاثة أمور : أحدها سياسي وثانيها ديني وثالثها علمي :

نبغ فيكتور هوغو في عصر الانقلاب والتجدد وطال عمره وكثر عمله . وكان لقومه الحظ الاوفر من انقلابات السياسية والتبدلات الاجتماعية واستوقفوا نحوهم انظار العالم المتمدن بأسره . فكان هذا الشاعر لسان حال الامة وترجمانها في كل انقلاب حدث فيها . تبدل طراً عليها وغير حكومتها من ملكية مطلقة الى جمهورية مفرطة ، الى امبراطورية ديموقراطية ، الى ملكية مقيدة بقليل او بكثير من القيود ، الى جمهورية ثانية ، الى امبراطورية ثانية ، ثم الى جمهورية ثالثة . فهذه التقلبات هيبت الافكار العمومية وكثرت الاحزاب السياسية ودعت الى استماع قول الشاعر الحكيم والتمثل باشعاره في نوادي السمر الادبية والسياسية على اختلاف الآراء وتبدل المشارب . ومتى تحدث أهل العاصمة بأمر سارت الركبان بجديهم الى الولايات واطراف المملكة ثم فشى في